

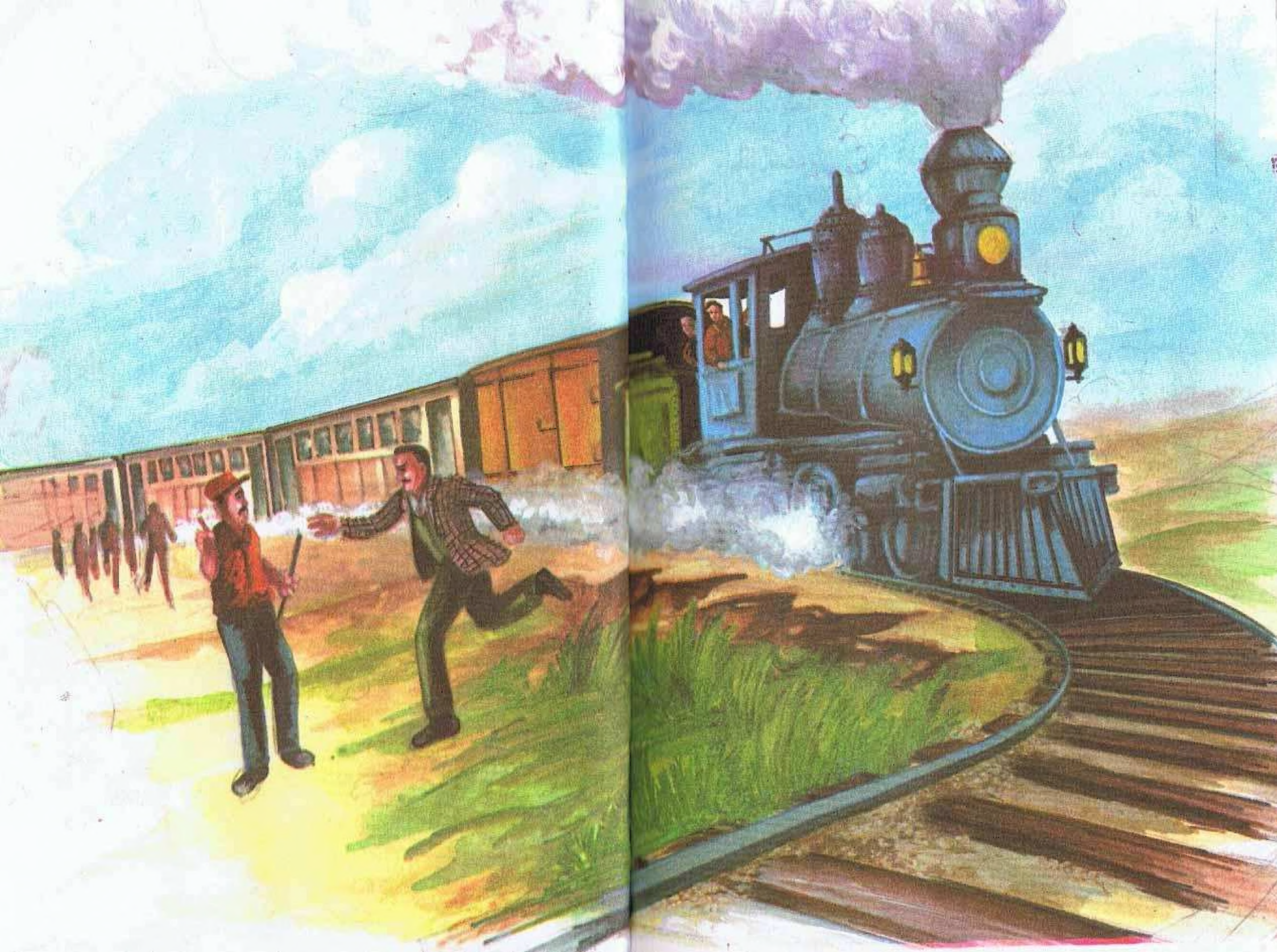
سُر

الرجل التاسع والثلاثين

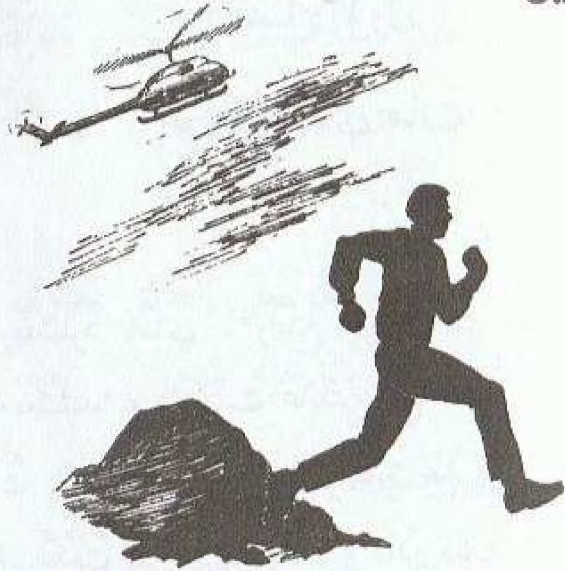


المغامرات المثيرة





س
الدرجات التسع والثلاثين



تأليف : جون بكان

أعدّها بالعربية : الشريف خاطر

رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان
بيروت

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩١

١٠ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأيّة وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩١

رقم الإيداع : ٨٣٧٨ / ١٩٩٠

الترقيم الدولي : ٣ - ٠٠١٣ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف

الشرق ، وَ قَرَأَتْ فِيهَا مَوْضوعًا عَنْ كَارُولِيدِس ، رَئِيسِ وُزَرَاءِ اليُونَانِ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « إِنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ ، وَشَرِيفٌ أَيْضًا . وَرُبَّمَا يَكُونُ أَقْوَى رَئِيسِ وُزَرَاءَ فِي أَوْرُبَّا ، وَلَكِنَّ الأَلْمَانَ يَكْرَهُونَهُ . »

وَفَجْأَةً سَمِعْتُ طَرَقًا خَفِيفًا عَلَى الْبَابِ ، فَتَرَكْتُ الصَّحِيفَةَ وَفَتَحْتُ الْبَابَ ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا يَقِفُ خَارِجَهُ ، وَعَرَفْتُهُ فِي الْحَالِ . لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ اسْمَهُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ . وَكَانَ نَحِيلًا ذَا عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ لَا مِعْتَيْنِ .

بَادَرَنِي قَائِلًا : « إِنِّي أَسْكُنُ فِي الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ . هَلْ لِي أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ ؟ أَتَسْمَحُ لِي بِالدُّخُولِ ؟ »

دَعَوْتُهُ لِلدُّخُولِ ، وَأَعْلَقْتُ الْبَابَ .

قَالَ : « أَنَا آسِيفٌ جِدًّا ، لَكِنِّي أَعَانِي مُشْكِلَةً ، فَهَلَا سَاعَدْتَنِي ؟ »

قُلْتُ : « بِكُلِّ سُورٍ ، وَسَأَنْصِتُ لَكَ ، لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِدَكَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا . »

وَلَا حَظُّهُ أَنَّهُ عَصَبِي ؛ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقِفَ سَاكِنًا ؛ لِذَا قُمْتُ بِإِعْدَادِ كُوبٍ مِنَ الْعَصِيرِ لَهُ ، فَشَرِبَهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً ، وَعِنْدَمَا وَضَعَ

الفصل الأول

الرجل الذي مات

إِسْمِي رِيْتشارْد هَنَّا ي ، وَأَبْلَغُ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا . وُلِدْتُ فِي اسْكُوتْلَنْدَا ، وَانْتَقَلْتُ عَائِلَتِي فِي عَامِ ١٨٨٣ إِلَى رُودِيسِيَا . وَهَنَّاكَ نَشَأْتُ ، وَعَمِلْتُ بِاجْتِهَادٍ لِمُدَّةِ عِشْرِينَ عَامًا . وَفِي مَارِسِ عَامِ ١٩١٤ عُدْتُ إِلَى بَرِيطَانِيَا ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُشُوبِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ . وَأَحْضَرْتُ مَعِي مَالًا وَفِيرًا بُغْيَةً قَضَاءِ إِجَازَةٍ مُمْتَعَةٍ ؛ فَلَقَدْ كَانَتْ بَرِيطَانِيَا - فِي الْوَاقِعِ - مِحْوَرُ كُلِّ أَحْلَامِي وَخُطْطِي . وَكُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أَبْقَى فِيهَا بَقِيَّةَ حَيَاتِي .

وَفِي شَهْرِ مَايُو اسْتَأْجَرْتُ شَقَّةً بِلَنْدَنَ عِشْتُ فِيهَا . وَذَاتَ مَسَاءٍ كُنْتُ وَحْدِي أَقْرَأُ الصَّحِيفَةَ ، فَعَرَفْتُ أَنَّ ثَمَّةَ بَعْضِ الاضطراباتِ فِي

الكَوْبَ كَسَّرَهُ مِنْ فَرْطِ اضْطِرَابِهِ .

قَالَ : « مَعْدِرَةٌ ؛ فَأَنَا مُضْطَرِبٌ اللَّيْلَةَ بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَثَمَّةٌ سَبَبٌ قَوِيٌّ لِذَلِكَ . وَأَنْتَ ، يَا سَيِّدِي ، تَبْدُو رَجُلًا شَرِيفًا وَشَجَاعًا أَيْضًا . وَأَنَا وَاقِعٌ فِي مُشْكِلَةٍ عَوِصَةٍ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى صَدِيقٍ . »

قُلْتُ : « قُصِّهَا عَلَيَّ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أُعْطِيكَ رَأْيِي . »

قَالَ : « أَنَا أَمْرِيكِيٌّ ، وَجِئْتُ إِلَى أَوْرُبَا مِنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ؛ لِأَعْمَلَ مُرَاسِلًا لِإَحْدَى الصُّحُفِ الْأَمْرِيكِيَّةِ . وَتَعَلَّمْتُ عِدَّةَ لُغَاتٍ ، وَوَقَفْتُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ أُمُورِ السِّيَاسَةِ الْأُورُبِيَّةِ . كَمَا اكْتَشَفْتُ خُطَطَ الْأَلْمَانِ لِلْحَرْبِ ، وَعَرَفْتُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْجَوَاسِيسِ الْأَلْمَانِ . وَالْمُشْكِلَةُ الْآنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَوَاسِيسَ يُطَارِدُونَنِي ، وَهَذِهِ هِيَ الْمُشْكِلَةُ . وَإِذَا كُنْتُ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ السِّيَاسَةِ ، يَا سَيِّدِي ، فَسَوْفَ تَفْهَمُ ذَلِكَ . إِنَّ أَوْرُبَا تُوشِكُ عَلَى الدُّخُولِ فِي حَرْبٍ ، وَثَمَّةٌ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَحَسْبُ يَسْتَطِيعُ إِيقَافَ تِلْكَ الْحَرْبِ . »

سَأَلْتُهُ : « مَنْ هُوَ ؟ »

أَجَابَنِي : « كَارُولِيدِس ، رَئِيسُ وُزَرَاءِ الْيُونَانِ . »

قُلْتُ : « لَقَدْ كُنْتُ أَقْرَأُ عَنْهُ - حَالًا - مَوْضُوعًا فِي الصُّحُفَةِ



قال : « أَجَلٌ ، فالألمان يُريدون قَتْلَهُ ، وسيقتلونني أيضاً إذا استطاعوا . وسوف يَجِيءُ كاروليدس إلى لندن الشهر القادم ؛ فقد وَجَّهَتْ إِلَيْهِ الدَّعْوَةُ لزيارة وزارة الخارجية في ١٥ يونيو (حزيران) ، فاختاروا ذلك اليوم لاغتياله . وأنا الرجل الوحيد الذي يستطيع إنقاذه . »

سألته : « كيف أستطيع مساعدتك ، يا سيّد ... »

أجابني : « اسمي اسكدر . فرانكلين ب . اسكدر . لقد قلت لك تَوْأً ، يا سيّدي ، إنّ أولئك الجواسيس يودّون قَتْلِي . وكنتُ أظنُّ أنني في أمان تام في لندن ؛ إذ اعتقدتُ أنّ أعدائي لم يتعقبوني إلى هنا . لكن مساء أمس وجدتُ بطاقة في صندوق بريدي ، عليها اسم رجل هو ألدُّ أعدائي . »

قلتُ : « ينبغي أن تبلغ وزارة الخارجية . وسوف يساعدونك ، وربما يُنقذون كاروليدس أيضاً . »

قال : « ليس ثمة وقت لذلك ؛ فأعدائي يعلمون أنني في هذا المبنى ، ومن المحتمل أنهم ينتظرونني بالخارج للإمساك بي . هل

لعتقد أنه بإمكانني أن أختبئ في شقتك ، يا سيّدي ؟ »

قلتُ : « أرى أنه من الأفضل أن أتأكد من قصّتك أولاً . سأخرج لألقي نظرة ، فإذا وجدتُ ما يُريب ، فلن أتخلى عن مساعدتك . »

غادرتُ الشقة وخرجتُ إلى الشارع . وكان ثمة رجل يقف خارج المبنى ، رفع يده عندما رأي . وتطلعتُ حولي بسرعة ، فرأيتُ وجهاً يطلُّ من نافذة المبنى المقابل ، وسرعان ما أجاب إشارة الرجل ، واختفى . واشترتُ صحيفة من ناصية الشارع وعدتُ ثانية إلى الشقة .

قلتُ له : « لا بأس ، يا سيّد اسكدر ، يمكنك البقاء هنا الليلة ؛ فقد تأكدتُ من قصّتك . فثمة شخص يقف بالخارج يبعث على الرّيب ، ومن المحتمل أنّ أعدائك يقيمون في البيت المقابل ، فلقد رأيتُ وجهاً بالنافذة وسرعان ما اختفى . »

بقي اسكدر في شقتي عدة أيام في هدوء . وعندما كنتُ أخرج كان يُصابُ باضطرابٍ شديد . وكنتُ ألاحظُ أنّ شخصاً يقفُ دائماً خارج المبنى ، كما كنتُ أرى وجهاً يُراقبُ من النافذة مرّاتٍ قليلة ، لكن أحداً لم يحضر إلى الشقة .

وَكَتَبَ اسْكَدَرُ بَعْضَ الْمَلاحِظَاتِ الْمُخْتَصِرَةِ فِي مُفَكَّرَةٍ صَغِيرَةٍ
سَوْدَاءَ ، وَعَدَّ الْأَيَّامَ حَتَّى الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ يَوْمِيهِ ، وَوَضَعَ
عَلَامَةً فِي الْمَفَكَّرَةِ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ انْقَضَى .

قَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : « إِنَّ الْوَقْتَ يَمُرُّ بِسُرْعَةٍ ، يَا هَنَّا ، وَإِذَا
اسْتَمَرَّوْا فِي مُرَاقَبَةِ الْمَنْزِلِ ؛ فَلَنْ يَكُونَ فِي اسْتِطَاعَتِي الْهَرَبُ ، وَإِذَا
أَصَابَنِي مَكْرُوهٌ ، فَهَلْ تُوَاصِلُ الْمَعْرَكَةَ ؟ »

أَحْبَبْتُ مُغَامِرَاتِ اسْكَدَرِ ؛ فَقَدْ كَانَتْ قِصَّتُهُ مُشِيرَةً . وَلَكِنْ لِأَنِّي
لَسْتُ مِنَ الْمُهْتَمِّينَ بِالسِّيَاسَةِ ؛ لَمْ أَكُنْ أَصْغِي إِلَيْهِ بِإِنْتِبَاهٍ .
وَاصِلَ حَدِيثِهِ ، وَحَكَى لِي عَنْ امْرَأَةٍ تُدْعَى جُولِيَا تَشِيكُنِّي ، وَهِيَ
جَاسُوسَةٌ ، فَقَالَ : « إِنَّهَا عَدُوٌّ لِدَوْدَ ، يَا هَنَّا ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ
أَسْوَأُهُمْ . »

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ الْعَجُوزُ هُوَ عَدُوُّ اسْكَدَرِ الرَّئِيسِيِّ ، فَأَخَذَ يَصِفُهُ
بِدِقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، فَقَالَ : « هُوَ شَخْصٌ غَرِيبٌ ، لَكِنَّ لَهُ صَوْتَ شَابٍ .
أَمَّا عَيْنَاهُ ، يَا هَنَّا ، لَوْ رَأَيْتَ عَيْنَيْهِ ، فَلَنْ تَنْسَاهُمَا أَبَدًا ! إِنَّهُمَا
عَيْنَانِ صَغِيرَتَانِ لَامِعَتَانِ مِثْلُ عَيْنَيْ طَائِرٍ . »

وَتَحَدَّثَ طَوِيلًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَكِنِّي لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَتَذَكَّرَ كُلَّ
مَا قَالَهُ ، غَيْرَ أَنَّنِي لَاحِظْتُ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ اضْطِرَابًا مِنْ ذِي قَبْلُ .

وَفِي الْمَسَاءِ خَرَجْتُ لِتَنَاوُلِ الْعِشَاءِ مَعَ صَدِيقِي . وَعِنْدَمَا عُدْتُ
كَانَتِ السَّاعَةُ الْعَاشِرَةَ وَالنِّصْفَ ، وَفَتَحْتُ بَابَ الشُّقَّةِ وَدَخَلْتُ .
كَانَتِ الْأَنْوَارُ مُطْفَأَةً ، وَهَذَا مَا جَعَلَ الْأَمْرَ يَبْدُو غَرِيبًا . وَأَضَاءَتْ
الْأَنْوَارُ ، وَتَطَلَّعْتُ حَوْلِي ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَحَدٍ ؛ فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ اسْكَدَرَ
أَوَى إِلَى الْفِرَاشِ مُبَكِّرًا .

وَدَخَلْتُ الْحُجْرَةَ الْمُجَاوِرَةَ ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فِي الرُّكْنِ . وَلِلْحِظَّةِ لَمْ
أَعْرِفْ عَلَيْهِ ، لَكِنِّي فَجَاءَةً أَحْسَسْتُ بِالْبُرُودَةِ وَالْوَهْنِ ، وَارْدَتْ أَنْ
أَقْبَحَ فَمِي وَأَصْرُخَ ، لَكِنِّي عَجَزْتُ عَنْ أَنْ أَتَحَرَّكَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا .

كَانَ اسْكَدَرُ مُلْقًى عَلَى ظَهْرِهِ فِي الرُّكْنِ ، وَقَدْ أَعْمِدَتْ فِي
صَدْرِهِ سِكِّينٌ طَوِيلَةٌ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا سِوَى مِقْبَضِهَا . وَكَانَ الْمِسْكِينُ
مُلْتَصِقًا بِالْأَرْضِ .

ما الذي أستطيع أن أفعله ؟ بإمكانني أن أذهب فوراً إلى الشرطة وأبلغهم بالقصة . ولكن رجال الشرطة قد يرتابون في لو أنني أخبرتهم بمقتل أسكدر ، وسيعتقدون أنني أنا الذي قتلته ، ومن الممكن أن يحملوني مسؤولية قتله .

فكرت في الأمر لمدة طويلة ، ثم توصلت إلى خطة ؛ فرغم أنني لم أكن أعرف أسكدر معرفة جيدة ، إلا أنني أحببته ، واستمتعت بالمغامرة معه أيضاً ، ورغبت في مواصلة مهمته . قلت لنفسي : « من الممكن أن أكتب إلى رئيس الوزراء ، أو إلى وزارة الخارجية ، لكن ربما لا يكون ذلك ضرورياً . سأرحل لعدة أسابيع ،

الفصل الثاني بائع اللبن

أخيراً جلست وأنا أشعر بالغثيان الشديد . ولعلي جلست خمس دقائق أحسست بعدها بالخوف . وكنت في غاية الاضطراب عندما قمت بتغطية جثمان أسكدر بمفرش المنضدة ، ولكن منظر مقبض السكين كان لا يزال يتراءى أمامي ، ويشير إليّ مثل الأصبع ، فتناولت كوباً من العصير وجلست ثانية لأفكر .

لقد قتل أسكدر ، وجثمانه المسجى يؤكد صحة روايته . لقد قتلته أعداؤه لأنه كان يعرف خططهم . قلت لنفسي : « سوف يقتلونني بعده ؛ فهم يعرفون أنه يسكن بالطابق العلوي ، ويعرفون أيضاً أنه كان في شقتي لمدة ثلاثة أيام أو أربعة ، وسوف يستنجون أنه أخبرني بخططهم . »



ثُمَّ أَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى لُنْدُنَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَى قِسْمِ الشَّرْطَةِ .

وَتَوَجَّهْتُ نَاحِيَةَ جُثْمَانِ اسْكَدَر ، وَرَفَعْتُ عَنْهُ الْمِفْرَشَ ، وَبَحَثْتُ فِي جُيُوبِهِ عَنِ الْمَفْكَرَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي كَانَ يَكْتُبُ فِيهَا مَلاحِظَاتِهِ . وَلَكِنَّ الْمَفْكَرَةَ كَانَتْ قَدْ اخْتَفَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَوْرَاقٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَفَتَحْتُ مَكْتَبِي وَأَخْرَجْتُ خَرِيطَةَ لِبَرِيطَانِيَا . وَفَكَّرْتُ فِي أَنْ اسْكُتْلَنْدَا هِيَ خَيْرُ مَكَانٍ لِنَتْفِيدِ خُطَّتِي ؛ فَلَقَدْ وُلِدْتُ هُنَاكَ وَمَا زِلْتُ أَتَكَلَّمُ لَهُجَةً أَهْلِهَا . وَفَكَّرْتُ فِي الذَّهَابِ إِلَى أَلْمَانِيَا ، خَاصَّةً أَنَّنِي قَدْ تَعَلَّمْتُ الْأَلْمَانِيَّةَ فِي رُودِيْسِيَا إِلَى دَرَجَةِ الْإِتْقَانِ . وَلَكِنْ رُبَّمَا كَانَتْ اسْكُتْلَنْدَا هِيَ أَفْضَلَ مَكَانٍ .

وَاخْتَرْتُ غَالَوَايَ ؛ وَهِيَ مِنتَقَةٌ بَرِّيَّةٌ فِي الرَّيفِ ، بِهَا مَدُنٌ كَبِيرَةٌ ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ بَعِيدَةٌ . وَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ ثَمَّةَ قِطَارٍ يَذْهَبُ إِلَى اسْكُتْلَنْدَا فِي الصَّبَاحِ ، وَيَغَادِرُ لُنْدُنَ فِي السَّابِعَةِ وَعَشَرَ دَقَائِقَ . وَلَكِنْ كَيْفَ يُمَكِّنُنِي الْخُرُوجُ مِنَ الشُّقَّةِ ؟ لَنْ يَكُونَ فِي اسْتَطَاعَتِي الْهَرَبُ مَا دَامَ أَعْدَاءُ اسْكَدَر مَوْجُودِينَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ .

وَفَجْأَةً خَطَرْتُ لِي فِكْرَةً رَائِعَةً ؛ فَفِي السَّادِسَةِ وَالنِّصْفِ مِنْ كُلِّ صَبَاحٍ ، يَأْتِي بَائِعُ اللَّبَنِ ، وَهُوَ شَابٌّ فِي مِثْلِ حَجْمِي ، لَهُ شَارِبٌ

أَسْوَدٌ قَصِيرٌ ، وَيَرْتَدِي مِعْطَافًا أَيْبَضَ وَقُبْعَةً بَيْضَاءَ . وَكَانَتْ فِكْرَتِي أَنْ أَقْتَرِضَ مِنْهُ مَلَابِسَهُ وَوِعَاءَ اللَّبَنِ ، بَعْدَهَا اسْتَطِيعَ الْهَرَبُ مِنَ الْمَنْزِلِ فِي هَيْئَةِ بَائِعِ اللَّبَنِ .

وَأَوَيْتُ إِلَى الْفِرَاشِ وَنِمْتُ سَاعَاتٍ قَلِيلَةً . وَفِي الصَّبَاحِ اغْتَسَلْتُ وَقُمْتُ بِقَصْرٍ شَارِبِي بِحَرَصٍ ، وَكَانَ طَوِيلًا أَسْوَدَ ، فَجَعَلْتُهُ قَصِيرًا . وَأَحْصَيْتُ نُقُودِي ، وَوَضَعْتُ خَمْسِينَ جَنِيْهَاً فِي جَيْبِي . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَعِدُّ نَفْسِي ، تَذَكَّرْتُ التَّبَغَ ؛ فَدَسَسْتُ أَصَابِعِي دَاخِلَ عُلْبَةِ التَّبَغِ الْكَبِيرَةِ ، فَشَعَرْتُ بِشَيْءٍ صَلْبٍ تَحْتَ التَّبَغِ ، وَكَانَ مَفْكَرَةً اسْكَدَرِ السُّودَاءِ ، فَوَضَعْتُهَا فِي جَيْبِي .

وَكَانَ ذَلِكَ أَمْرًا حَسَنًا ، فَقَدْ أَخْفَاهَا اسْكَدَرُ فِي عُلْبَةِ التَّبَغِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَعْدَاؤُهُ أَنْ يَعْثُرُوا عَلَيْهَا .

وَكَانَتْ السَّاعَةُ قَدْ قَارَبَتْ عَلَى السَّابِعَةِ إِلَّا ثَلَاثًا ، وَبَائِعُ اللَّبَنِ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ . وَلَكِنْ فَجْأَةً سَمِعْتُ جَلْبَةً وَوِعَاءَ اللَّبَنِ عَلَى السُّلَّمِ ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ .

قُلْتُ لَهُ : « ادْخُلْ أَرْجُوكَ ! فَأَنَا أُرِيدُ التَّحَدُّثَ إِلَيْكَ . »

دَخَلَ الشُّقَّةَ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ .

قُلْتُ : « أَصْنَعْ إِلَيَّ . أَنْتَ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ ، وَأَوَدُّ أَنْ تُسَاعِدَنِي . »

وَأَخْرَجْتُ جَنِيهَا ذَهَبِيًّا مِنْ جَيْبِي ، وَأَضَفْتُ قَائِلًا : « لَوْ وَافَقْتُ
فَسَأَعْطِيكَ هَذَا . »

عِنْدَمَا رَأَى الْجَنِيَّةَ اتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَسَلَّانِي : « مَا الَّذِي تُرِيدُ مِنِّي
أَنْ أَفْعَلَهُ ؟ »

قُلْتُ : « أُرِيدُ أَنْ أَقْتَرِضَ مَلَابِسَكَ وَوِعَاءَ اللَّبَنِ بِضْعَ دَقَائِقَ . »

ضَحِكَ وَقَالَ : « وَمِنْ أَجْلِ أَيِّ شَيْءٍ تُرِيدُهُمَا ؟ »

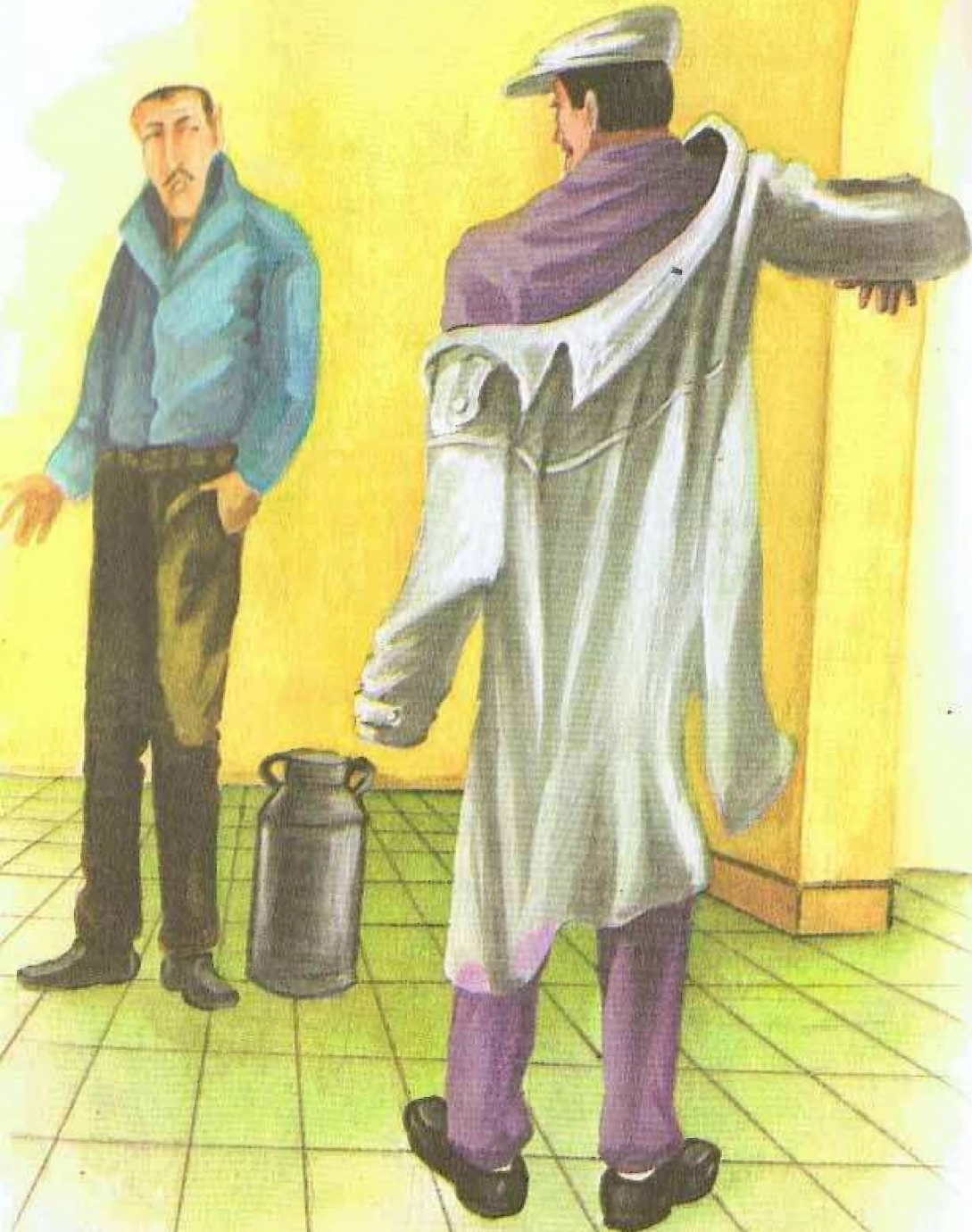
أَجَبْتُ : « أَرْجُوكَ ! لَقَدْ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا ، لَكِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ
أُشْرَحَهُ لَكَ الْآنَ . دَعْنِي أَخَذَهُمَا وَسَأَعُودُ خِلَالَ عَشْرِ دَقَائِقَ . »

وَوَضَعْتُ الْجَنِيَّةَ الذَّهَبِيَّةَ فِي يَدِهِ .

قَالَ : « لَا مَانِعَ ؛ فَأَنَا أَيْضًا أَحِبُّ الْمَزَاحَ قَلِيلًا . »

ارْتَدَيْتُ مَلَابِسَهُ ، وَخَرَجْتُ مِنَ الشُّقَّةِ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ وَرَائِي
قَائِلًا : « لَا تَتَّبِعْنِي ؛ سَأَعُودُ حَالًا . »

وَنَزَلْتُ السُّلَّمُ وَخَرَجْتُ إِلَى الشَّارِعِ . وَأَحْدَثْتُ جَلَبَةً بِوِعَاءِ
اللَّبَنِ ، وَبَدَأْتُ أُغْنِي . تَطَلَّعَ إِلَيَّ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَقِفُ بِالْخَارِجِ ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . نَظَرْتُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَوَاجِهِ فَرَأَيْتُ الْوَجْهَ



مَوْجُودًا فِي النَّافِذَةِ مَرَّةً أُخْرَى . وَانْعَطَفْتُ فِي شَارِعٍ آخَرَ ، وَرَحْتُ
أَجْرِي ، ثُمَّ خَلَعْتُ مَلَأِيسَ بَائِعِ اللَّبَنِ ، وَوَضَعْتُهَا هِيَ وَالْوِعَاءَ
بِجِوَارِ الْحَائِطِ .

الفصل الثالث صاحب الفندق

وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَحْطَةِ السَّكِّكِ الْحَدِيدِيَّةِ كَانَتْ السَّاعَةُ
السَّابِعَةُ وَعَشْرَ دَقَائِقَ ، وَكَانَ الْقِطَارُ يَتَحَرَّكُ بِطُءٍ خَارِجًا مِنَ الْمَحْطَةِ ،
وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ وَقْتُ لِشِرَاءِ تَذْكَرَةٍ ، فَجَرَيْتُ وَأَمْسَكْتُ بِمِقْبَضِ أَحَدِ
الْأَبْوَابِ وَوَجَدْتُهُ مَفْتُوحًا ؛ فَصَعِدْتُ إِلَى الْقِطَارِ .

وَسَرَّعَانَ مَا جَاءَ مُحْصِلُ التَّذَاكِرِ ، وَعَظِيبَ مِنِّي ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ
أَتَّحِلَ بَعْضَ الْأَعْدَارِ الَّتِي قَبْلَهَا ، وَصَرَفَ لِي تَذْكَرَةً إِلَى نِيُوتُون -
سْتِيوَارْت بِغَالَوَاي .

أَمْضَيْتُ طَوَالَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مُسَافِرًا إِلَى الشَّمَالِ . وَتَوَقَّفَ الْقِطَارُ
عِنْدَ مَحْطَةِ لِيدز ، حَيْثُ اشْتَرَيْتُ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ وَصُحُفَ الصَّبَاحِ .
وَجَاءَ مُحْصِلُ تَذَاكِرِ آخَرَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أُغَيِّرَ الْقِطَارَ فِي
مَحْطَةِ دَمْفَرِيز .

قَرَأْتُ الصُّحُفَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا - بِالطَّبَعِ - أَيُّ شَيْءٍ عَنِ
مَقْتَلِ اسْكَدَر ؛ فَقَدْ كَانَ الْوَقْتُ مُبَكَّرًا جِدًّا لِاِكْتِشَافِ الْجَرِيمَةِ .
بَعْدَ ذَلِكَ أَخْرَجْتُ مُفَكَّرَةَ اسْكَدَرِ الصَّغِيرَةِ ، وَكَانَتْ مَلِئَةً بِالْأَرْقَامِ
فَضْلًا عَنْ بَعْضِ أَسْمَاءِ غَرِيبَةٍ ؛ مِثْلَ هُوفُغَارْدِ ، أَفُوكَادُو ، پَافِيَا .
وَلَا حَظَّتْ أَنْ كَلِمَةُ پَافِيَا تَكَرَّرَتْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ .

وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الشُّقَرَاتِ . وَلَمَّا كُنْتُ مَشْغُوفًا

دَائِمًا بِفَكَ رُمُوزِ الشُّفَرَاتِ ؛ فَقَدْ أَخَذْتُ أَفْحَصُ هَذِهِ الشُّفْرَةَ بِعِنَايَةٍ .
لَقَدْ كَتَبَ اسْكُدَر أَرْقَامًا بَدَلًا مِنَ الْحُرُوفِ . لَكِنْ مَاذَا كَانَتْ تَعْنِي
هَذِهِ الْأَسْمَاءُ ، خَاصَّةً أَنْ بَعْضَهَا كَانَ أَسْمَاءَ مُدُنٍ ؟ تُرَى هَلْ
اسْتَعْمَلَهَا بَدِيلًا عَنْ أَسْمَاءِ بَعْضِ النَّاسِ ؟ وَلِمَثَلِ هَذِهِ الشُّفَرَاتِ عَادَةً
مِفْتَاحَ لِحَلِّ الرُّمُوزِ ؛ لِذَلِكَ حَاوَلْتُ أَنْ أَخْمِنَ هَذَا الْمِفْتَاحَ . وَكَانَ
مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ كَلِمَةَ « هَوْفُغَارْد » لَيْسَتْ هِيَ مِفْتَاحَ حَلِّ الرُّمُوزِ ؛
لَأَنَّهَا لَا تَتَوَافَقُ مَعَ بَقِيَّةِ الشُّفْرَةِ . وَحَاوَلْتُ مَعَ بَاقِي الْكَلِمَاتِ ،
لَكِنَّهَا لَمْ تَتَوَافَقْ مَعَ الشُّفْرَةِ .

وَاسْتَعْرِفْتُ فِي النَّوْمِ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ عِنْدَمَا أُيقِظُنِي صَوْتُ
الْمُحْصِلِ : « أَسْرِعْ ، يَا سَيِّدِي ، يَنْبَغِي أَنْ تُغَيِّرَ الْقِطَارَ هُنَا . »

وَنَظَرْتُ مِنَ النَّافِذَةِ ، فَوَجَدْتُني فِي دَمْفَرِيز ، وَالْقِطَارُ قَدْ تَوَقَّفَ .
وَنَزَلْتُ مِنْهُ ، وَعَبَّرْتُ الْمَحْطَةَ إِلَى قِطَارِ غَالَوَاي .

وَكَانَ الْقِطَارُ مُزْدَحِمًا جِدًّا ، وَدَارَ حِوَارٌ طَرِيفٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُزَارِعِ
ظَنْ أَنَّنِي مُزَارِعٌ مِثْلُهُ . وَتَحَدَّثْنَا عَنْ الْمَاشِيَةِ ، وَالْمَحَاصِيلِ ، وَالْأَسْعَارِ .
وَنَزَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَحَطَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لَكِنِّي وَاصِلْتُ . وَفِي
السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ تَوَقَّفَ الْقِطَارُ فِي مَحْطَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَشَعَرْتُ بِأَنَّ الْمَكَانَ
يُرَوِّقُنِي جِدًّا ، وَلَا أُسْتَطِيعُ تَذَكُّرَ اسْمِهِ ، لَكِنَّهُ كَانَ مَكَانًا هَادِئًا
وَبَعِيدًا جِدًّا عَنْ لَنْدُن .

وَنَزَلْتُ مِنَ الْقِطَارِ ، وَأَخَذَ طِفْلٌ التَّذَكُّرَةَ مِنِّي . وَكَانَ الْوَقْتُ
مَسَاءً ، وَالْجَوُّ رَائِعًا ، حَتَّى إِنَّنِي أَحْسَسْتُ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ . وَسِرْتُ
وَالطَّرِيقَ ، رُبَّمَا لِمَسَافَةٍ كِيلُو مِثْرَيْنِ ، ثُمَّ انْعَطَفْتُ فِي طَرِيقِ جَانِبِي
يُؤَدِّي إِلَى الْوَادِي . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِ
صَغِيرٍ ، وَكَانَتْ تَقِفُ أَمَامَ بَابِهِ امْرَأَةٌ ، قُمْتُ بِتَحِيَّتِهَا ، فَدَرْتُ عَلَيَّ
بِأَدَبٍ جَمٍّ .

سَأَلْتُهَا : « هَلَّا سَمَحْتَ لِي بِقَضَاءِ اللَّيْلَةِ هُنَا ؟ »

أَجَابَتْ : « عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ؛ تَفَضَّلْ . »

وَسَرَّعَانَ مَا مَدَّتْ أَمَامِي مَائِدَةً حَافِلَةً ، وَشَرِبْتُ عِدَّةَ أَكْوَابٍ مِنْ
لَبَنٍ دَسِيمٍ حُلُوٍّ .

وَعِنْدَمَا حَلَّ الظَّلَامُ عَادَ زَوْجُهَا ، وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا لَهُ شَارِبٌ
أَسْوَدٌ كَثِيفٌ . وَتَحَدَّثْنَا لِمُدَّةِ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَدَخْنَا بَعْضًا مِنْ تَبَغٍ
عَلْيُونِي . وَلَمْ يَسْأَلَانِي آيَةَ أَسْئَلَةٍ ؛ إِذِ اعْتَقَدَا أَنَّنِي مُزَارِعٌ .

وَفِي الصَّبَاحِ اسْتَمْتَعْتُ بِإِفْطَارٍ شَهِيٍّ وَافِرٍ . وَ عِنْدَمَا قَدَّمْتُ
لِلْمَرْأَةِ نِصْفَ جَنِيٍّ ذَهَبِيًّا رَفَضَتْ أَنْ تَأْخُذَهُ . وَلَمَّا كَانَ الْجَوُّ حَارًّا ،
فَقَدْ أَعْطَتْنِي الْمَرْأَةُ إِنَاءً مَلِيئًا بِاللَّبَنِ لَأَخُذَهُ مَعِي . وَكَانَتْ السَّاعَةُ



وَ واصلت الصحيفة استكمال قصة الجريمة في الصفحة الأخيرة . وجاء في آخرها أنهم أطلقوا سراح بائع اللبن ، وأن الشرطة تبحث عن رجل اسمه ريتشارد هنري ، وأنهم يعتقدون أنه هرب إلى اسكتلندا بالقطار .

وسعدت لإطلاق سراح بائع اللبن ، الذي لا يعرف شيئاً عن الجريمة ، ولا علاقة له بها سوى أنني أعطيتها جنيهاً ذهبياً . ولهذا السبب قبض عليه وأودع السجن .

ووقف القطار في محطة عرفتها ؛ فقد كانت المكان الذي

التاسعة عندما غادرت البيت . وسرت عدة كيلو مترات تجاه الجنوب ؛ لأنني كنت أود أن أعود إلى جوار السكة الحديدية ، وليس إلى المحطة الصغيرة نفسها ؛ خشية أن يتعرف علي الطفل أو رجال السكة الحديدية إذا رأوني ثانية .

وهكذا اتجهت إلى المحطة التالية . وأثناء سري رأيت أن أكثر السبل أمناً ، هو أن أعود إلى مدينة دمفريز ؛ فقد تكون الشرطة جادة في البحث عني ، وسأكون أكثر أماناً في مدينة كبيرة .

وعندما وصلت إلى المحطة ، اشتريت تذكرة إلى دمفريز . ولم يطل انتظاري كثيراً ، فقد وصل القطار . وجلست بجوار رجل عجوز معه كلبه ، وسرعان ما استغرق الرجل في النوم ، فتناولت صحيفته الملقاة بجانبه . وكان نباء الجريمة منشوراً في الصفحة الأولى بحروف كبيرة تقول :

جريمة في شقة بمدينة لندن

وجاء في الصحيفة أن بائع اللبن ظل ينتظر عودتي نصف ساعة ، استدعى بعدها رجال الشرطة ، ودخلوا شقتي وعثروا على جثة اسكندر ، وقبض على بائع اللبن وأودع السجن . وشعرت بالأسف الشديد لذلك الرجل المسكين .

نَزَلْتُ فِيهِ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ . وَوَصَلَ قِطَارٌ آخَرٌ مِنْ دَمْفَرِيز ، وَنَزَلَ مِنْهُ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ ، وَتَحَدَّثُوا إِلَى رِجَالِ الْمَحْطَةِ وَالطُّفْلِ . وَرَاقَبْتُهُمْ بِحَدَرٍ ، وَكَانَ الطُّفْلُ يُشِيرُ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَتُهُ .

وَبَدَأَ الْقِطَارُ يَتَحَرَّكُ ثَانِيَةً ، وَأَثْنَاءَ تَحَرُّكِهِ خَارِجًا مِنَ الْمَحْطَةِ أَخْفَيْتُ وَجْهِي بِالصُّحُفَةِ . وَبَعْدَ أَنْ سَارَ الْقِطَارُ مَسَافَةً كِيلُو مَتْرَيْنِ تَقْرِيْبًا تَوَقَّفَ فَجَاءَ وَلَمْ نَكُنْ فِي مَحْطَةٍ ؛ إِذْ كَانَ الْقِطَارُ قَرِيبًا مِنْ جِسْرِ فَوْقَ نَهْرٍ .

وَكَانَتْ هَذِهِ فُرْصَتِي ، فَغَيَّرْتُ خُطَّتِي عَلَى الْقَوْرِ ، وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَفَقَزْتُ خَارِجًا . وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ فِكْرَةً سَدِيدَةً ، لَوْ أَنَّنِي لَمْ أُنْسَ الْكَلْبَ . فَعِنْدَمَا قَفَزْتُ ، حَاوَلَ الْكَلْبُ أَنْ يَتَّبِعَنِي ؛ فَاسْتَيْقِظَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ وَانْدَفَعَ نَاحِيَةَ الْبَابِ صَائِحًا : « النَّجْدَةُ ! النَّجْدَةُ ! »

وَجَرَيْتُ نَحْوَ شَاطِئِ النَّهْرِ ، وَاخْتَبَأْتُ دَاخِلَ بَعْضِ الشُّجَيْرَاتِ هُنَاكَ . وَتَجَمَّعَ بَعْضُ الرُّكَّابِ ، وَمَعَهُمْ مُحَصِّلُ التَّنَازُلِ عِنْدَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ . وَأَشَارَ رَجُلٌ نَاحِيَةَ شَاطِئِ النَّهْرِ .

وَأَنْقَذَتْنِي الْمَصَادِفَةُ الْحَسَنَةُ ؛ فَأَنَا لَمْ أَلْحِظْ أَنَّ الْكَلْبَ مَرْبُوطَ فِي يَدِ صَاحِبِهِ . وَفَقَزَ الْكَلْبُ فَجَاءَ جَازِبًا مَعَهُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ خَارِجَ

الْقِطَارِ ، وَتَدَحَّرَجَ الْإِثْنَانِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ، وَلِلْحِظَةِ نَسِينِي النَّاسُ ، وَأَنْشَغَلُوا بِإِنْقَاذِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ . وَعَضَّ الْكَلْبُ أَحَدَهُمْ أَثْنَاءَ هَذَا الْهِيَاجِ ، فَانْتَهَزَتْ الْفُرْصَةَ ، وَلَذَتْ بِالْفِرَارِ وَسَطَ الشُّجَيْرَاتِ .

وَعِنْدَمَا نَظَرْتُ خَلْفِي ، كَانَ الْهِيَاجُ قَدْ انْتَهَى ، وَبَدَأَ النَّاسُ يَصْعَدُونَ إِلَى الْقِطَارِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَسَرْعَانَ مَا بَدَأَ يَتَحَرَّكُ .

وَسِرْتُ بِمُحَاذَاةِ شَاطِئِ النَّهْرِ أَفَكَّرُ فِي مُشْكِلَتِي . لَقَدْ كُنْتُ بِمَأْمَنٍ ، وَلَكِنِّي فِي الْوَقْتِ نَفْسِيهِ كُنْتُ خَائِفًا ، لَا أَغْنِي أَنَّي كُنْتُ خَائِفًا مِنَ الشَّرْطَةِ ، بَلْ كُنْتُ أَفَكَّرُ فِي أَعْدَائِ اسْكَدَرِ وَمُخَطَّطَاتِهِمُ الَّتِي عَرَفْتُهَا . وَأَصْبَحْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يُحَاوِلُوا قَتْلِي أَوْ الزَّجْ بِي فِي السَّجْنِ . إِنَّهُمْ يُشْكِلُونَ خَطَرًا بِالنِّسْبَةِ لِي ، وَلَمْ أُسْتَطِعْ إِخْفَاءَ خَوْفِي ؛ فَمَتَاعِي لَمْ تَنْتَهُ بَعْدُ .

وَاتَّجَهْتُ بَعِيدًا عَنِ النَّهْرِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى قِمَّةِ التَّلِّ . وَكَانَتْ هُنَاكَ تِلَالٌ أُخْرَى تُحِيطُ بِي ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى بِوُضُوحٍ عَلَى مَدَى عِدَّةِ كِيلُو مِثْرَاتٍ . وَكَانَتْ هُنَاكَ كَذَلِكَ مَحْطَةُ سِكَّةِ حَدِيدِيَّةٍ وَمَنْزِلَانِ صَغِيرَانِ . وَكَانَ ثَمَّةَ غُبَارٍ يَتَصَاعَدُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَوْجَدُ طَرِيقٌ . ثُمَّ تَطَلَّعْتُ إِلَى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ، وَكَادَ قَلْبِي يَتَوَقَّفُ هَلَعًا ؛ كَانَتْ ثَمَّةَ طَائِرَةٍ صَغِيرَةٍ تَتَّجِهُ نَحْوِي . وَأَدْرَكْتُ عَلَى

الْفُورُ أَنْ أَعْدَاءَ اسْكُدْرَهُمُ الَّذِينَ فِي الطَّائِرَةِ ؛ فَرَجَالُ الشُّرْطَةِ هُنَا
لَا يَسْتَخْدِمُونَ الطَّائِرَاتِ أَبَدًا لِلْبَحْثِ عَنِ النَّاسِ .

وَاخْتَبَأْتُ خَلْفَ صَخْرَةٍ وَأَخَذْتُ أَرَقِبُ الطَّائِرَةِ ، وَكَانَتْ تَطِيرُ
بِمُحَاذَاةِ شَاطِئِ النَّهْرِ فِي دَوَائِرٍ ضَيِّقَةٍ ، وَعَلَى ارْتِفَاعٍ مُنْخَفِضٍ جَدًّا
لِدَرَجَةٍ أَنِّي اسْتَطَعْتُ رُؤْيَةَ قَائِدِ الطَّائِرَةِ . لَكِنِّي كُنْتُ مُوقِنًا مِنْ أَنَّهُ
لَمْ يَرَنِي . وَارْتَفَعَتِ الطَّائِرَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَعْلَى وَاسْتَدَارَتْ ، وَطَارَتْ
فَوْقَ النَّهْرِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَعَادَتْ صَوْبَ الْجَنُوبِ .



وَقَرَّرْتُ عَلَى الْفُورِ أَنْ أَغَادِرَ هَذِهِ التَّلَالَ ، وَلَا عَشَرَ عَلَيَّ أَعْدَائِي
لَوْ تَتَطَلَّعُوا إِلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَكَانٍ أُخْتَبِئُ فِيهِ .

وَبَلَغْتُ الطَّرِيقَ فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ ، وَسِرْتُ فِيهِ عِدَّةَ كِيلُو
مِتْرَاتٍ . ثُمَّ بَدَأَ الظَّلَامُ يُخَيِّمُ عَلَى الْمَكَانِ ، وَكُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى
مَنْزِلٍ بِجَوَارِ جِسْرِ . وَأَدْهَشَنِي أَنْ أَرَى مَنْزِلًا يَقِفُ مُنْعَزِلًا فِي مِثْلِ
ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُقْفَرِ . وَكَانَ عَلَى الْجِسْرِ شَابٌّ يَقْرَأُ .



قال لي : « مساء الخير . إن الجو لطيف هذه الليلة ، أليس كذلك ؟ »

أجبت : « بلى . هل هذا المنزل فندق ؟ »

قال : « نعم ، يا سيدي ، وأنا صاحب الفندق . أتود أن تقضي الليلة هنا ؟ »

قلت : « لكنك صاحب فندق صغير السن ، أليس كذلك ؟ »

قال : « بلى ، ذلك أن أبي توفي العام الماضي ، وترك لي هذا الفندق . وأنا أعيش هنا مع أمي ، ولا أحب العمل على الإطلاق . إنني أفضل كتابة القصص ، لكن عن أي شيء يمكنني أن أكتب ؟ إنني لا أقابل ناساً كثيرين يثيرون الاهتمام . »

وفجأة راودتني فكرة بأن أستعين بذلك الشاب .

قلت له : « سأحكي لك قصة ، وهي حقيقة . فأنا في حاجة إلى صديق أحكي له هذه القصة لكي أحظى بمعاونته . وسوف أسمح لك بكتابتها شريطة أن لا تفعل شيئاً قبل يوم ١٥ يونيو (حزيران) ، فهو تاريخ مهم جداً . »

وجلسْتُ فوق الجسر وحكيتُ له القصة ، وكان يصغي بانتباه

وعيناه تلمعان بالإنارة .

قلتُ له : « إنني فلاح من روديسيا ، وجئتُ إلى بريطانيا منذ هذه أسابيع ، وقد سافرتُ بسفينة من ساحل غرب أفريقيا ، وظنُّ الألمان هناك أنني جاسوس ، فأخذوا يتعقبونني طوال السفر حتى وصلتُ إلى بريطانيا ، وقد قتلوا أعزَّ أصدقائي ، والآن يحاولون قتلني . هل قرأت الصحيفة اليوم ؟ »

وأوماً برأسه بالإيجاب .

قلتُ : « حسن ! إذا فأنت على علم بجريمة قتل فرانكلين اسكندر . »

هز الشاب رأسه ثانية ، واتسعت عيناه .

قلتُ : « كان أعزَّ صديق لي ، وقد قُتل في شقتي . »

حكيتُ له أن اسكندر كان يتعاون مع وزارة الخارجية ، وأوضحتُ أنه قد عرفَ بعض أسرار الألمان . وكانت قصتي طويلة ومحبوكة ومثيرة للغاية . وفي النهاية قلتُ له : « ألسنتُ تبحثُ عن مغامرة ؟ ها أنتَ ذا قد وجدتَها ! فهؤلاء الجواسيسُ الألمانُ قد يحضرونَ إلى هنا ، وأنا أريدُ أن أختبئَ منهم . »

تَنَاولَ ذِرَاعِي بِرَفْقِي وَقَادَنِي نَاحِيَةَ الْفُنْدُقِ .

قَالَ لِي : « سَتَكُونُ آمِنًا هُنَا ، يَا سَيِّدِي ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَحْكِيَ لِي
مُغَامِرَاتِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَسَوْفَ أَكْتُبُهَا . »

قُلْتُ : « لَا مَانِعَ ! لَكِنْ لَدَيَّ بَعْضُ الْأَعْمَالِ عَلَيَّ أَنْ أَنْجِزَهَا
أَوَّلًا ؛ فَقَدْ تَرَكَ لِي اسْكَدَرُ رِسَالَةً طَوِيلَةً بِالشُّفْرَةِ ، وَبَنَبَغِي عَلَيَّ أَنْ
أَحْلُلَ رُمُوزَهَا . »

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَدْخُلُ الْفُنْدُقَ ، سَمِعْتُ صَوْتَ الطَّائِرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً .
وَكَانَتْ تُحَلِّقُ عَلَى ارْتِفَاعٍ مُنْخَفِضٍ نَاحِيَةَ الْجِسْرِ .

اسْتَأْجَرْتُ حُجْرَةً هَادِئَةً فِي الْجُزْءِ الْخَلْفِيِّ مِنَ الْفُنْدُقِ ، وَكَانَتْ
وَالِدَةُ صَاحِبِ الْفُنْدُقِ تُحْضِرُ لِي الطَّعَامَ فِي كُلِّ وَجْبَةٍ . وَقَدْ رَاقَنِي
الْمَكَانُ تَمَامًا .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ أَخْرَجْتُ مَفْكَرَةَ اسْكَدَرِ ، وَبَدَأْتُ الْعَمَلَ .
وَكَانَتْ الشُّفْرَةُ صَعْبَةً ، وَقَدْ حَاولْتُ مَا أُمَكِّنُنِي اسْتِخْدَامَ عِدَّةِ مَفَاتِيحَ
لِحَلِّ رُمُوزِ الشُّفْرَةِ . وَعِنْدَ الظُّهْرِ كُنْتُ قَدْ اكْتَشَفْتُ الْمَسَافَاتِ
الْمَوْجُودَةَ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ ، لَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أَكْتُشِفَ الْحُرُوفَ .

وَبَعْدَ الْغَدَاءِ حَاولْتُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَظَلَلْتُ أَعْمَلُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى



السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ . وَفَجَاءَ خَطَرْتُ لِي فِكْرَةٌ ، وَكُنْتُ مُسْتَلْقِيًا عَلَى مَقْعَدِي ، عِنْدَمَا مَرَّ بِخَاطِرِي اسْمُ امْرَأَةٍ ، وَهُوَ «جوليا تشيكني» ، الَّتِي قَالَ عَنْهَا اسْكُدْرُ إِنَّهَا مِنْ أَلَدِ أَعْدَائِهِ . وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا هُوَ مِفْتَاحُ حَلِّ رُمُوزِ الشُّفْرَةِ . وَجَرَّبْتُ ذَلِكَ بِسُرْعَةٍ عَلَى الشُّفْرَةِ فَكَانَ مُطَابِقًا . إِنَّ اسْمَ جوليا Julia يَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسَةِ أَحْرَفٍ ، وَقَدْ اسْتُخْدِمَ اسْكُدْرُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ بَدَلًا مِنْ خَمْسَةِ أَحْرَفٍ فِي حُرُوفِ الْهَجَاءِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، هِيَ : u, o, i, e, a . فَحَرْفُ J مَثَلًا هُوَ الْحَرْفُ الْعَاشِرُ فِي حُرُوفِ الْهَجَاءِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ؛ لِذَا كَانَ يَسْتُخْدِمُ رَقْمَ ١٠ بَدَلًا مِنْ حَرْفِ a . وَحَرْفُ e هُوَ حَرْفُ u فِي اسْمِ جوليا Julia ، وَحَرْفُ u تَرْتِيبُهُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ ؛ لِذَا كَانَ اسْكُدْرُ يَكْتُبُ ٢١ بَدَلًا مِنْ حَرْفِ e .

وَمِنْ خِلَالِ اسْمِ تَشِيكْنِي أُمَكْنَنِي أَنْ أَعْرِفَ تِسْعَةَ أَرْقَامٍ أُخْرَى . وَهَكَذَا اسْتَطَعْتُ قِرَاءَةَ مُفَكَّرَةِ اسْكُدْرِ . وَجَلَسْتُ فِي حُجْرَتِي أَعْمَلُ بِهَدْوٍ طِيلَةَ فِتْرَةٍ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ .

كَانَتْ الْحَقَائِقُ الَّتِي ذَكَرَهَا اسْكُدْرُ فِي مُفَكَّرَتِهِ مُرْعِبَةً ، حَتَّى إِنَّهُ عِنْدَمَا أَحْضَرْتُ لِي السَّيِّدَةَ الشَّامِيَّ ، كُنْتُ فِي حَالَةٍ عَصَبِيَّةٍ سَيِّئَةٍ جِدًّا . وَبَدَأَ وَجْهِي شَاحِبًا ، وَفَقَدْتُ الرُّغْبَةَ فِي أَنْ أَكُلَ شَيْئًا .

سَأَلْتَنِي : « أَيْخِرُ أَنْتَ يَا سَيِّدِي ؟ إِنَّهُ يَبْدُو عَلَيْكَ الشُّحُوبُ الشَّدِيدُ . »

قُلْتُ : « لَا شَيْءَ ! أَرْجُوكَ أَنْ تَضْعِيَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمُنْصَدَةِ . »

وَحَدَّثْتُ ضُجَّةً مُفَاجِئَةً خَارِجَ الْفُنْدُقِ ؛ فَغَادَرَتِ السَّيِّدَةُ الْحُجْرَةَ . وَسَمِعْتُ صَوْتَ مُحَرِّكِ سَيَّارَةٍ يَتَوَقَّفُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَمِعْتُ عِدَّةَ أَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ انْدَفَعَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ إِلَى حُجْرَتِي قَالًا :

« لَقَدْ وَصَلَ رَجُلَانِ تَوًّا ، وَهُمَا يَبْتَخِثَانِ عَنْكَ ، وَقَدْ وَصَفَاكَ بِدِقَّةٍ شَدِيدَةٍ . »

« مَاذَا قُلْتَ لَهُمَا ؟ »

« قُلْتُ لَهُمَا إِنَّكَ قَضَيْتَ أَمْسَ هُنَا ، وَغَادَرْتَ الْفُنْدُقَ صَبَاحَ الْيَوْمِ مُبَكَّرًا . »

« أَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِفَهُمَا لِي ؟ »

« أَحَدُهُمَا نَحِيفٌ أَسْمَرٌ ، وَالْآخَرُ يَمِيلُ إِلَى الْبَدَانَةِ . »

« هَلْ يَتَحَدَّثَانِ كَالْإِنْجِلِيزِ ؟ »

هَزَّ رَأْسَهُ قَائِلًا : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ . »

التَّقَطَّتْ قُصَاصَةٌ وَرَقٍ ، وَكَتَبَتْ بِسُرْعَةٍ بِالْأَلْمَانِيَّةِ : « ... بِلَاكِ
سْتُون . لَقَدْ سَمِعَ اسْكُدِرُ عَنْ ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا
حَتَّى الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ يُونِيَّةِ (حَزِيرَان) . إِنَّ خُطَطَ كَارُولِيدِسَ غَيْرِ
مُؤَكَّدَةٍ ، وَقَدْ لَا يَكُونُ فِي اسْتَطَاعَتِي أَنْ أَقُومَ بِالْمُسَاعَدَةِ . لَكِنْ إِذَا
أَشَارَ السَّيِّدُ (ت) بِذَلِكَ ؛ فَسَأَحَاوِلُ ... »

وَعِنْدَمَا فَرَعْتُ مِنْ كِتَابَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مَزَقْتُ أَطْرَافَهَا ، حَتَّى تَبْدُو
كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ خِطَابٍ مُمَزَّقٍ ، وَقُلْتُ لَهُ : « سَلِّمْ هَذِهِ لَهُمَا ، وَقُلْ
إِنَّكَ وَجَدْتَهُمَا فِي عُرْفَتِي . »

وَبَعْدَ مُضِيِّ ثَلَاثِ دَقَائِقَ انْصَرَفَ الرَّجُلَانِ بِسَيَّارَتِهِمَا . وَعَادَ
صَاحِبُ الْفُنْدُقِ فِي غَايَةِ الْإِبْتِهَاجِ ، وَقَالَ : « لَقَدْ أَصَابَتْهُمَا وَرَقَتُكَ
بِالدَّهْشَةِ ؛ إِذْ شَحَبَ وَجْهَ الرَّجُلِ ذِي الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ ، وَبَدَا الرَّجُلُ
الْبَدِينُ قَبِيحَ الشَّكْلِ جِدًّا . وَدَفَعَا ثَمَنَ مَا شَرَبَاهُ ، وَانْصَرَفَا عَلَى
الْفُورِ . »

قُلْتُ : « أَرِيدُكَ الْآنَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ أَجْلِي . ارْكَبْ دَرَاجَتَكَ

وَاذْهَبْ إِلَى مَرَكَزِ الشُّرْطَةِ فِي نِيُوتُون - سِيَوَارْتِ ، وَصِفْ لَهُمُ
الرَّجُلَيْنِ وَحَدِّثْهُمَا عَنْ جَرِيمَةِ لَنْدَن . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَخْتَلِقَ أَسْبَابًا ،
كَأَنْ تَقُولُ مَثَلًا إِنَّكَ سَمِعْتَ حَدِيثًا بَيْنَهُمَا قَالَ فِيهِ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ
إِنَّهُ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهُ الْيَوْمَ فَقَطُّ مِنَ السَّجْنِ . وَتَقُولُ كَذَلِكَ إِنَّكَ
سَمِعْتَ اسْمَ اسْكُدِرِ ، وَإِنَّ الْفَرِيْسَةَ لَمْ تَقَعْ بَعْدُ ، وَسَوْفَ يَعُودُ هَذَانِ
الرَّجُلَانِ صَبَاحَ غَدٍ ، وَيَبْغِي أَنْ يَكُونَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ هُنَا لِيَقْبِضُوا
عَلَيْهِمَا . »

وَانْصَرَفَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ فِي الْحَالِ ، وَوَاصَلْتُ أَنَا عَمَلِي فِي
مُفَكَّرَةِ اسْكُدِرِ . وَعِنْدَمَا عَادَ كَانَتْ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ .

قَالَ : « كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . وَسَوْفَ يَأْتِي رِجَالُ الشُّرْطَةِ إِلَى
هُنَا فِي الثَّامِنَةِ صَبَاحًا . »

تَنَاوَلْنَا الطَّعَامَ مَعًا ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقْصِرَ عَلَيْهِ مُغَامَرَاتِي مَرَّةً ثَانِيَةً .
وَكَانَ يُدَوِّنُ بَعْضَ الْمُلَاحَظَاتِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ . وَلَمْ أَسْتَطِعِ النَّوْمَ فِي
بَلَدِكَ اللَّيْلَةَ ، وَفَرَعْتُ مِنْ فَكِّ رُمُوزِ مُفَكَّرَةِ اسْكُدِرِ ، وَجَلَسْتُ فِي
مَقْعَدِي سَاهِرًا حَتَّى الصَّبَاحِ ؛ فَقَدْ كُنْتُ أَفَكِّرُ فِي حِكَايَةِ اسْكُدِرِ
الْمُرْعَبَةِ .

وَفِي الثَّامِنَةِ صَبَاحًا وَصَلَ ثَلَاثَةٌ مِنْ رِجَالِ الشَّرْطَةِ إِلَى الْفُنْدُقِ ،
فَقَابَلَهُمْ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ وَدَلَّهُمْ عَلَى الْجَرَّاجِ ، فَتَرَكَوا سَيَّارَتَهُمْ فِيهِ
وَدَخَلُوا الْفُنْدُقَ .

وَبَعْدَ مِثْنِي عِشْرِينَ دَقِيقَةً وَصَلْتُ سَيَّارَةً أُخْرَى ، وَتَوَقَّفْتُ عَلَى
بُعْدِ مِثْنِي مِثْرٍ تَقْرِيبًا مِنَ الْفُنْدُقِ . وَكُنْتُ أَرَأَيْتُ ذَلِكَ مِنَ النَّافِذَةِ
الَّتِي تَعْلُو الْبَابَ الْأَمَامِيَّ . كَانَتْ الْعَرَبَةُ تَقِفُ تَحْتَ ظِلَالِ بَعْضِ
الْأَشْجَارِ ، وَنَزَلَ مِنْهَا رَجُلَانِ ، وَسَارَا إِلَى الْفُنْدُقِ .

وَكَانَتْ الْخُطَّةُ الَّتِي وَضَعْتُهَا غَيْرَ مُحْكَمَةٍ تَمَامًا ، لَكِنِّي كُنْتُ
أَمَلُّ أَنْ تَقْبِضَ الشَّرْطَةُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ ، وَلَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، لَكُنْتُ فِي
أَمَانٍ تَامٍ .

وَلَكِنْ خَطَرْتُ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِكْرَةً أَفْضَلَ ، فَكَتَبْتُ رِسَالَةً
إِلَى صَاحِبِ الْفُنْدُقِ ، وَتَرَكَتُهَا فِي حُجْرَتِي ، ثُمَّ فَتَحْتُ نَافِذَةَ
الْحُجْرَةِ وَنَزَلْتُ بِهِدْوٍ ، وَاخْتَبَأْتُ بَيْنَ بَعْضِ شُجَيْرَاتِ الْحَدِيقَةِ .
وَجَرَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْرَ الْحَدِيقَةِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى حُدُودِ أَحَدِ الْحُقُولِ
الْمُجَاوِرَةِ . وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ قَلِيلَةٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْأَشْجَارِ ، وَلَمْ
أُضَيِّعْ دَقِيقَةً وَاحِدَةً ؛ فَرَكِبْتُ السَّيَّارَةَ الْوَاقِفَةَ هُنَاكَ ، وَأَدْرْتُ الْمُحَرَّكَ ،
وَأَنْطَلَقْتُ بِهَا .

وَحَمَلَتِ الرِّيحُ إِلَى أُذُنِي الْأَصْوَاتَ الْغَاضِبَةَ ، عَلَى حِينِ كُنْتُ
أَقُودُ السَّيَّارَةَ عَلَى الطَّرِيقِ ، بِسُرْعَةٍ ثَمَانِينَ كِيلُومِترًا فِي السَّاعَةِ .

وَلَا حَظُّ تَكَرَّرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ : « تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً » عِدَّةَ مَرَّاتٍ
فِي مُفَكَّرَتِهِ . وَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ كَتَبَهَا عَلَى النُّحُو التَّالِي : « تِسْعٌ
وَالثَلَاثُونَ دَرَجَةً ، وَلَقَدْ عَدَدْتُهَا جَيِّدًا . وَ الْمَدُّ يَكُونُ عَلِيًّا هُنَاكَ فِي
الْعَاشِرَةِ وَسَبْعَ عَشْرَةَ دَقِيقَةً . »

الفصل الرابع

المغامرة مع سير هاري

وَتَسَاءَلْتُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ « التَّسْعُ
وَالثَلَاثُونَ دَرَجَةً » هَذِهِ فِي مَكَانٍ مَا عَلَى السَّاحِلِ ، وَكَلِمَةُ الْمَدُّ
لَا تُكَدُّ ذَلِكَ . وَلَكِنْ مَا وَجَّهَ أَهَمِّيَّتِهَا ؟

لَقَدْ كَتَبَ اسْكَدَرُ أَنَّ الْحَرْبَ مُؤَكَّدَةٌ ، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُوقِفَهَا . وَكَانَتْ خَطَطُ الْأَلْمَانِ جَاهِزَةً مِنْذُ فَبْرَايِرِ عَامِ ١٩١٢ ،
وَكَانَ مِنَ الْمَقْرَّرِ أَنْ يَقْتُلُوا كَارُولِيدِسَ يَوْمَ ١٤ يُونِيَّةِ ، وَتَكُونَ وَفَاتُهُ
هِيَ الْمَبْرَرُ لِنُشُوبِ الْحَرْبِ . لَقَدْ كَتَبَ فِي مُفَكَّرَتِهِ : « إِنَّ الْأَلْمَانَ
سَوْفَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ السَّلَامِ فِي أَوْرَبَا ، عَلَى حِينِ أَنَّهُمْ لَا يَرْغَبُونَ فِي
السَّلَامِ . بَلْ هُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِلْحَرْبِ وَسَوْفَ يَهَاجِمُونَنَا فَجَاءَةً . »

وَكَتَبَ اسْكَدَرُ أَيْضًا عَنْ زِيَارَةِ ضَابِطٍ فَرَنْسِيٍّ لِللَّيْنَدِنِ ، وَهُوَ قَائِدُ
الْجَيْشِ الْفَرَنْسِيِّ الَّذِي كَانَ سَيَحْضُرُ يَوْمَ ١٥ يُونِيَّةِ ، فَقَالَ : « هَذَا
الضَّابِطُ سَيَحَاطُ عَلَمًا بِالْخَطَطِ الْبَرِيطَانِيَّةِ ، وَسَوْفَ يَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى
فَرَنْسَا . »

كَانَ صَبَاحًا جَمِيلًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَفَكِّرُ فِي الْجَوِّ الْجَمِيلِ أَوْ
فِي تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُحِيطَةِ بِي ، بَلْ كَانَتْ أَفْكَارِي كُلُّهَا تَتَرَكَّزُ فِي
اسْكَدَرِ وَمُفَكَّرَتِهِ .

لَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ الضَّئِيلُ الْجِسْمِ ، اسْكَدَرُ ؛ فَقَدْ
تَحَدَّثَ كَثِيرًا عَنْ كَارُولِيدِسَ ، وَكَانَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِهِ صَحِيحًا ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لِي الْأَشْيَاءَ الْمُهْمَّةَ . وَأَنَا أَلُومُ اسْكَدَرَ لِأَنَّهُ لَمْ يُكَاشِفْنِي
بِالْأَسْرَارِ الْحَقِيقِيَّةِ ؛ فَرُبَّمَا كَانَ خَائِفًا مِنَ الْبُوحِ بِهَا لِأَيِّ إِنْسَانٍ .
وَبِالطَّبَعِ كَانَ كَارُولِيدِسَ فِي خَطَرٍ ، غَيْرَ أَنَّ الْخَطَرَ كَانَ أَعْظَمَ
بِالنِّسْبَةِ لِأَوْرَبَا كُلِّهَا ؛ وَهَذَا هُوَ السِّرُّ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي احْتَفَظَ بِهِ
اسْكَدَرُ فِي مُفَكَّرَتِهِ الصَّغِيرَةِ .

وأضاف اسكندر أن أفراد عصابة بلاك ستون سيكونون موجودين
أيضاً في لندن في ذلك اليوم ، وسيعرفون الخطط كذلك ،
وسيرسلونها على الفور إلى ألمانيا .

وواصلت سيري بالسيارة خلال قري غالواي الرائعة ، التي تعدُّ
من أجمل مناطق اسكتلندا ، ولكنني لم أستطع الاستمتاع بذلك
الهدوء المحيط بي .

كان لزاماً عليّ أن أهرب من أعدائي وأظل على قيد الحياة .
ولكن الأمور أخذت تتعقّد ؛ فرجال الشرطة ، ورجال عصابة بلاك
ستون يتعقبونني ، وأنا ليس لي أصدقاء في اسكتلندا .

وعند الظهر تقريباً وصلت إلى قرية كبيرة ، وكنت جائعاً فقررتُ
أن أتوقّف . ولمحت شرطياً يقف خارج مبنى البريد يقرأ برفية .
وعندما رأى السيارة رفع يده وأندفع إلى وسط الطريق ، صائحاً :
« قف ! قف ! »

وفجأة اتابني الشكُّ وأدركتُ أن تلك البرقية تتعلق بي . ولا بدُّ
أن شيئاً ما حدث بالفندق ، وربما يكون رجال الشرطة قد اتفقوا مع
الجواسيس ، وأدلوأ بأوصاف السيارة ؛ وبالتالي بعث رجال الشرطة

بهذه البرقية إلى كل القرى المجاورة .

ولم أتوقّف ، ومدّ رجل الشرطة يده ، وشرع يجري بجوار
السيارة ، وأمسك بذراعي من خلال النافذة التي كانت مفتوحة ،
ولكنني لكمته بشدة فوقع على ظهره .

وعدت بالسيارة إلى المزارع مرة ثانية من خلال طريق ضيق .
وصعدت تلالاً عديدة كانت تطل على وادٍ فسيح . وكنت متعباً
وجائعاً ؛ فبدأت أبحث عن فندق هادئ أستريح فيه . وفجأة سمعتُ
ضجّة فوقي ؛ فتطلعت إلى أعلى فرأيت الطائرة - على بعد أميال -
متجهة ناحيتي .

وقدت السيارة بسرعة هابطاً تلاً تحفه الأشجار والحشائش العالية .
وفجأة ظهرت سيارة أخرى من طريق جانبي ضيق ، فلم أستطع
التوقّف ، وجذبت عجلة القيادة بشدة ناحية اليمين وأغلقت عيني .

واندفعت سيارتي بين الأعشاب وبدأت في السقوط . ورأيت قاع
الوادي على بعد خمسة عشر متراً إلى أسفل ، فقفزت من السيارة
وتدحرجت بين الأعشاب . وأحدثت السيارة ضجّة فظيعة عندما
انقلبت عدة مرات ، ثم استقرت مثل كومة من الحديد في بطن

الوادي .

وَأَخَذَ شَخْصٌ مَا بِيَدِي ، وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ الْأَعْشَابِ . وَسَمِعْتُ
صَوْتًا عَطُوفًا يَسْأَلُنِي : « هَلْ أَصِبتَ بِأَذَى ؟ »

وَإِذَا بِرَجُلٍ طَوِيلٍ يَقِفُ بِجَوَارِي .

قَالَ : « أَنَا آسِيفٌ لِمَا حَدَثَ . لَقَدْ رَأَيْتُ سَيَّارَتَكَ ، لَكِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ أَيُّ مِنَّا أَنْ يُوقِفَ سَيَّارَتَهُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ . أَمَلْتُ أَنْ تَكُونَ
بِخَيْرٍ . لَكِنَّكَ تَبْدُو شَاحِبًا تَمَامًا . »

وَكُنْتُ إِلَى حَدٍّ مَا سَعِيدًا لِوُقُوعِ هَذِهِ
الْحَادِثَةِ ؛ لِأَنَّ رِجَالَ الشُّرْطَةِ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْ تِلْكَ
السَّيَّارَةِ ، الَّتِي لَمْ تَعُدْ تَصْلُحُ الْآنَ لِلسَّفَرِ .

قُلْتُ : « إِنَّهَا غَلَطَتِي يَا سَيِّدِي ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ أَقُودَ بِسُرْعَةٍ
فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ الضَّيِّقَةِ . إِنَّ هَذِهِ السَّيَّارَةَ لَمْ تَعُدْ تَصْلُحُ لِلْقِيَادَةِ بَعْدَ
ذَلِكَ . وَهَذِهِ هِيَ نِهَآيَةُ إِجَازَتِي فِي اسْكُوتْلَنْدَا ، وَنَبَغِي أَنْ أَكُونَ
سَعِيدًا ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ نِهَآيَةَ حَيَاتِي ! »

قَالَ ثَانِيَةً : « أَنَا جِدُّ آسِيفٍ ، فِي الْحَقِيقَةِ . »



وَنَظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ وَوَاصَلَ كَلَامَهُ قَائِلًا : « لَدَيْنَا وَقْتُ كَافٍ لِكَيِّ
نَذْهَبَ إِلَى مَنْزِلِي ، حَيْثُ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُبَدِّلَ ثِيَابَكَ وَتَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ
الطَّعَامِ . أَيْنَ حَقِيقَتُكَ ؟ هَلْ هِيَ فِي السَّيَّارَةِ ؟ »

قُلْتُ : « لَا ! فَكُلْ أَشْيَاءَ مُوجُودَةٍ فِي فُنْدُقٍ يَبْعُدُ عَنْ هُنَا أَكْثَرَ
مِنْ سِتِّينَ كِيلُومِتْرًا . »

وَأَخَذَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيمَا أَقُولُهُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ عَنْ نَفْسِي . فَلَمْ أَكُنْ
أَرْغَبُ فِي أَنْ أَقُولَ لَهُ إِنِّي مِنْ رُودِيسِيَا ؛ لِأَنَّ اسْمِي ذُكِرَ فِي
الصُّحُفِ ، وَالشُّرْطَةُ تَعْرِفُ أَنَّي قَادِمٌ مِنْ رُودِيسِيَا ، وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ
أَنْ يَسْتَنْتَجَ هَذَا الرَّجُلُ الْحَقِيقَةَ إِذَا قُلْتُ لَهُ أَيُّ شَيْءٍ عَنْ رُودِيسِيَا ؛
لِذَا قَرَّرْتُ أَنْ أَدْعِيَ أَنَّي مِنْ أَسْتْرَالِيَا . وَكُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ كَثِيرًا عَنْهَا ؛
وَبِالْتَّالِي فَإِنِّي أُسْتَطِيعُ التَّحَدُّثَ عَنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ ؛ لَوْ أَنَّهُ سَأَلَنِي أَيُّ
سُّوَالٍ . وَهَكَذَا لَنْ يَكْتَشِفَ الْحَقِيقَةَ أَبَدًا .

وَأَكْمَلْتُ كَلَامِي قَائِلًا : « أَنَا أَسْتْرَالِيٌّ ، وَعَادَةً لَا أَحْمِلُ الْكَثِيرَ
مِنَ الْمَلَابِيسِ مَعِي . »

صَاحَ قَائِلًا : « أَأَنْتَ أَسْتْرَالِيٌّ ؟ عَظِيمٌ ! أَنَا أَسْعَدُ رَجُلٍ فِي
اسْكُوتْلَنْدَا ! فَأَنْتَ تُوَافِقُ بِالطَّبَعِ عَلَى نِظَامِ التَّجَارَةِ الْحُرَّةِ ؟ »

أَجَبْتُ بِسُرْعَةٍ : « أَجَلٌ . » وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ بِالضَّبْطِ مَاذَا
كَانَ يَقْصِدُ !

قَالَ : « هَذَا رَائِعٌ ؛ فَنِظَامُ التَّجَارَةِ الْحُرَّةِ هُوَ أَفْضَلُ شَيْءٍ لِبْرِيْطَانِيَا .
وَسَيَكُونُ فِي مَقْدُورِكَ مُسَاعَدَتِي اللَّيْلَةَ . » وَأَمْسَكَ بِذِرَاعِي وَجَذَبَنِي
نَاحِيَةَ سَيَّارَتِهِ .

وَبَعْدَ ثَلَاثِ دَقَائِقَ وَصَلْنَا إِلَى مَنْزِلِهِ . وَأَخْرَجَ ثَلَاثَ حُلُلٍ أَوْ أَرْبَعًا
مِنْ عِنْدِهِ ، وَوَضَعَهَا فَوْقَ الْفِرَاشِ . وَأَعَارَنِي أَيْضًا أَحَدَ قُمْصَانِهِ ،
وَأَخْتَرْتُ حُلَّةَ زَرْقَاءَ وَارْتَدَيْتُهَا . ثُمَّ اصْطَلَحَنِي إِلَى الْمَطْبَخِ ، حَيْثُ
كَانَ ثَمَّةَ بَقَايَا طَعَامٍ عَلَى الْمِنْضَدَةِ .

قَالَ : « إِذَا لَمْ تُسْرِعْ فَقَدْ تَتَأَخَّرُ . تَنَاوَلْ شَيْئًا الْآنَ ، وَخُذْ بَعْضَ
الْخُبْزِ فِي جَيْبِكَ ، وَعِنْدَمَا نَعُودُ اللَّيْلَةَ فَسَوْفَ نَتَنَاوَلُ وَجَبَةً شَهِيَّةً .
عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ فِي بَرَاتْلِبِيرِن فِي السَّابِعَةِ تَقْرِيْبًا . »

وَتَنَاوَلْتُ فَنَجَانًا مِنَ الْقَهْوَةِ وَبَعْضَ شَرَائِحِ اللَّحْمِ الْبَارِدِ ، وَوَقَّفَ
الرَّجُلُ بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ وَبَدَأَ يَتَكَلَّمُ :

« لَقَدْ جِئْتَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ تَمَامًا يَا سَيِّدُ ... عَفْوًا ، فَأَنْتَ
لَمْ تَذْكُرْ لِي اسْمَكَ . »

قُلْتُ : « تَوْسَدَن . »

قال : « آه ، تَوْسَدَن ! في الحقيقة ، يا سيد تَوْسَدَن ، أنني أمر بمُشكلة ، وأودُّ منك أن تُساعدني . فثمة اجتماع عام الليلة في براتلبيرن ، وعليّ أن ألقى خطبة سياسية ؛ فأنا مرشح الحزب الليبرالي عن دائرة غالواي ، وبراتلبيرن هي المقر الرئيسي . وفي الحقيقة لقد أعددت كل شيء لهذا الاجتماع ، وكان من المفروض أن يحضر مستر كراميلتون ، رئيس الوزراء الليبرالي السابق ، ويُلقي كلمة الافتتاح الرئيسية . ولكنني تلقيت منه بريقة بعد ظهر اليوم أبلغني فيها عدم إمكانه الحضور لمرضه . وهذا يعني أنه يجب عليّ أن ألقى الخطبة بنفسني . »

قُلْتُ : « حَسَن ، بما أنك المرشح ، فأعتقد أنك تستطيع إلقاء الخطبة . »

قال : « في استطاعتي إلقاء خطبة قصيرة ، ولكن أن أتحدث عشر دقائق فهذا كثير بالنسبة لي . وأمل أن تكون إنساناً شهماً يا تَوْسَدَن وتُساعدني ؛ فإستطاعتك أن تُحدث الحاضرين في الاجتماع عن كل جوانب التجارة الحرة في أستراليا ! »

ولم أكن أعرف شيئاً عن التجارة الحرة ، بل كنت في حاجة

شديدة إلى من يُساعدني أيضاً ، وربما كانت هذه فرصتي !

قُلْتُ : « حَسَن ، ورغم أنني لست متحدثاً بليغاً ، إلا أنني سأحدث إلى أصدقائك عن أستراليا . »

وعندئذ غادرنا المنزل متجهين إلى براتلبيرن ، وفي الطريق حدثني الرجل عن نفسه قليلاً ، ومن بين الأشياء التي أخبرني بها شيء طريف جداً ، وهو أن أباه وأمه متوفيان ، وأنه عاش مع عمه الذي يشغل منصب السكرتير العام لوزارة الخارجية .

وكان ذلك نبأ مثيراً ؛ لأن الذي يشغل هذا المنصب لا بد أن يكون شخصاً مهماً . ورغبت في مقابلاته ، ووددت لو كان في استطاعة ذلك الرجل أن يفعل شيئاً لمُساعدتي .

وسرنا بالسيارة خلال مدينة صغيرة ، حيث استوقفنا اثنان من رجال الشرطة ، وسلطوا على وجهينا نور مصباحيهما ، فأحسست بالاضطراب الشديد ، وخشيت أن يقوموا بالقبض عليّ .

قال أحد الشرطيين : « أنا آسف ، يا سير هاري ؛ فنحن نبحث عن سيارة مسروقة ، واعتقدنا أنها هذه السيارة . »

قال سير هاري مازحاً : « كل شيء على ما يرام . إن سيارتي

قَدِيمَةٌ جِدًّا وَلَا تُغْرِي أَحَدًا بِسَرَقَتِهَا !» ثُمَّ وَاصَلْنَا سَيْرَنَا .

كَانَتْ السَّاعَةُ السَّابِعَةُ إِلَّا خَمْسَ دَقَائِقَ عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى براتلين . وَأَوْقَفَ سِير هاري السَّيَّارَةَ خَارِجَ قَاعَةِ اجْتِمَاعَاتِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ دَخَلْنَا . وَكَانَ بِالْقَاعَةِ حَوَالِي خَمْسِمِائَةِ شَخْصٍ .

وَوَقَفَ رَجُلٌ وَالْقَى كَلِمَةً قَصِيرَةً أَوْضَحَ فِيهَا أَنَّ السَّيِّدَ كرامبَلْتون مَرِيضٌ وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْمَجِيءَ ، وَاسْتَطَرَدَ قَائِلًا : « لَكِنَّا سَعْدَاءُ الْحَظِّ جِدًّا اللَّيْلَةَ فِي براتلين لِوُجُودِ خُطِيبٍ مَشْهُورٍ مِنْ أَسْتْرَالِيَا ، وَلَكِنْ سَوْفَ نَسْتَمِعُ أَوَّلًا إِلَى كَلِمَةِ مُرْشِحِ الْحِزْبِ اللَّيْبِرَالِيِّ عَنْ دَائِرَةِ براتلين . »

وَبَدَأَ سِير هاري إلقاءَ كَلِمَتِهِ ، وَكَانَ يُمَسِّكُ فِي يَدِهِ بِحَوَالِي خَمْسِينَ صَفْحَةً شَرَعَ يَقْرَأُ مِنْهَا . وَكَانَتْ خُطْبَةٌ مُزَعِجَةٌ ، وَشَعَرْتُ بِالْأَسْفِ الشَّدِيدِ مِنْ أَجْلِهِ ، فَأَحْيَانًا كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَوْرَاقِ ، وَيَعْجِزُ عَنْ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا . وَأَحْيَانًا أُخْرَى كَانَ يَنْسِي مَوْضُوعَ الْخُطْبَةِ وَلَا يَتَذَكَّرُ سِوَى بَعْضِ جُمَلٍ مِنْ كِتَابٍ ؛ فَيَكْرَرُهَا كَتَلْمِيزٍ صَغِيرٍ . وَكَانَتْ أَفْكَارُهُ خَاطِئَةً تَمَامًا . وَتَحَدَّثَ عَنِ الْخَطَرِ الْأَلْمَانِيِّ وَكِدْتُ أَنْفَجِرُ ضَاحِكًا عِنْدَمَا قَالَ : « لَيْسَ ثَمَّةُ خَطَرٍ أَلْمَانِيٍّ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ فَالْحُكُومَةُ هِيَ الَّتِي اخْتَرَعَتْ ذَلِكَ . وَالْأَلْمَانُ يُرِيدُونَ السَّلَامَ ؛ لِذَا

فَنَحْنُ لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى جَيْشٍ ضَخْمٍ . وَنَحْنُ نَضِيعُ الْأَمْوَالَ الْعَامَّةَ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى السَّلَاحِ وَالسُّفُنِ الْحَرْبِيَّةِ . »

وَفَكَّرْتُ فِي مُفَكَّرَةِ اسْكدر السُّودَاءِ الصَّغِيرَةِ ، فَخُطِّطُ الْأَلْمَانِ لِلْحَرْبِ جَاهِزَةً ، وَهُمْ لَا يَبْغُونَ السَّلَامَ . وَقُمْتُ - بَعْدَ انْتِهَاءِ سِير هاري - بِإِلْقَاءِ كَلِمَتِي عَنْ أَسْتْرَالِيَا ؛ فَشَرَحْتُ سِيَاسَةَ الْبَلَدِ وَخُطِّطَهُ وَإِنجازاتِ الْحُكُومَةِ اللَّيْبِرَالِيَّةِ . وَأَصْغَى النَّاسُ إِلَيَّ بِمُنْتَهَى الْأَدَبِ ، وَكَانُوا أحيانًا يَهْتَفُونَ لِي ، غَيْرَ أَنَّنِي تَجَاهَلْتُ كُلَّ مَا يَتَّصِلُ بِالتَّجَارَةِ الْحُرَّةِ .

وَقَدَّمَ جُمْهُورُ الْحَاضِرِينَ الشُّكْرَ لِكُلِّ الْمُتَحَدِّثِينَ فِي نِهَايَةِ الْاجْتِمَاعِ . وَعَدْتُ أَنَا وَسِير هاري إِلَى السَّيَّارَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَخَرَجْنَا مِنْ مَدِينَةِ براتلين .

قَالَ : « لَقَدْ كَانَتْ خُطْبَةٌ رَائِعَةً يَا تَوْسَدَن ، وَقَدْ اسْتَمْتَعَ بِهَا الْحَاضِرُونَ . أَلَمْ تَسْمَعْهُمْ وَهُمْ يُحْيُونَكَ عِنْدَمَا ذَكَرْتَ كَلِمَةَ ليبرالي (أَيَّ حُرٍّ) ؟ وَالْآنَ سَنَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَسَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَنَاوَلَ وَجْهَةً شَهِيَّةً . وَأَوْدُ أَنْ تَبِيتَ اللَّيْلَةَ عِنْدِي . »

وَبَعْدَ الْعِشَاءِ جَلَسْنَا بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ نَتَحَدَّثُ .

قُلْتُ لَهُ : « اسْمَعْ يَا سِير هاري ، أريدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئًا فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ . أَنْتَ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ ؛ وَلِذَا فَلَنْ أَخْفِيَ عَنْكَ أَيُّ شَيْءٍ . لَقَدْ كَانَتْ خُطْبَتُكَ خَاطِئَةً كُلُّهَا ! »

قَبِدْتُ عَلَيْهِ دَهْشَةً شَدِيدَةً وَقَالَ : « أَ كَانَتْ كَذَلِكَ ؟ ! هَلْ تَقْصِدُ النُّقْطَةَ الْخَاصَّةَ بِالْخَطَرِ الْأَلْمَانِيِّ ؟ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيُهَاجِمُونَنَا ؟ »

قُلْتُ : « مِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَهَاجِمُونَا الشَّهْرَ الْقَادِمَ . وَالْآنَ اسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ . مِنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ قَتَلَ جَاسُوسٌ أَلْمَانِيٌّ صَدِيقًا لِي فِي لُنْدَن ... »

وَلَا أَزَالُ أَذْكُرُ وَهَجَ نَارِ الْمِدْفَاقَةِ فِي حُجْرَةِ سِير هاري ، وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى مَقْعَدِي الْوَتِيرِ أَقْصُ كُلَّ شَيْءٍ . ذَكَرْتُ لَهُ كُلَّ مَا فِي مَفْكَرَةِ اسْكَدَر ، وَبَصِيفَةِ خَاصَّةِ التَّسْعِ وَالثَّلَاثُونَ دَرَجَةً ، وَالْمَدُّ . وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ مُغَامَرَتِي مَعَ بَائِعِ اللَّبَنِ وَالشُّرْطَةِ فِي الْفُنْدُقِ .

بَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ : « إِنَّ الشُّرْطَةَ تُحَاوِلُ الْقَبْضَ عَلَيَّ بِسَبَبِ تِلْكَ الْجَرِيمَةِ ، وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ إِثْبَاتَ أَنِّي لَسْتُ قَاتِلَ اسْكَدَر . وَالْحَقِيقَةُ أَنِّي أَخْشَى مِنْ أَوْلَئِكَ الْجَوَاسِيسِ الْأَلْمَانِ ؛ فَهُمْ أَكْثَرُ فِطْنَةً مِنْ

الشُّرْطَةِ ؛ فَلَوْ أَنَّ الشُّرْطَةَ قَبَضَتْ عَلَيَّ لَدَبَّرَ لِي عِنْدِي حَدِثٌ ، أَتَلَقَّى فِيهِ طَعْنَةً سَكِينٍ فِي قَلْبِي مِثْلَ اسْكَدَر ! »

كَانَ سِير هاري يَتَطَلَّعُ إِلَيَّ بِاهْتِمَامٍ ، فَسَأَلَنِي : « هَلْ أَنْتَ رَجُلٌ غَمْسِي الْمِزَاجِ ، يَا سَيِّدُ هَنَّا ؟ »

وَلَمْ أَجِبْهُ فِي الْحَالِ . وَتَنَاوَلْتُ سَكِينًا كَبِيرَةً كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى الْحَائِطِ ، وَقُمْتُ بِإِدَاءِ لُعْبَةِ رُودِيسِيَّةٍ قَدِيمَةٍ ، فَقَدَفْتُ بِالسَّكِينِ إِلَى أَعْلَى فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ تَلَفَّفْتُهَا بِفَمِي .

قُلْتُ لَهُ : « لَقَدْ تَعَلَّمْتُ هَذِهِ اللَّعْبَةَ مِنْذُ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ ؛ وَالرَّجُلُ الْغَمْسِيُّ الْمِزَاجِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَدِّيَهَا . »

ابْتَسَمَ قَائِلًا : « لَا بَأْسَ يَا هَنَّا ، أَنْتَ لَسْتَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْإِثْبَاتِ ذَلِكَ . إِنِّي قَدْ لَا أَعْرِفُ كَثِيرًا فِي السِّيَاسَةِ ، لَكِنِّي اسْتَطَعْتُ الْفُرُوفَ عَلَى الرَّجُلِ الشَّرِيفِ ، وَأَنَا أَصَدِّقُ مَا قُلْتَهُ . قُلْ لِي مَا الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ أَفْعَلَهُ لِمُسَاعَدَتِكَ ؟ »

قُلْتُ : « إِنَّ عَمَلَكَ هُوَ السَّكْرَتِيرُ الْعَامُّ لِيُوزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ ، وَاسْتَطَاعَتْهُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا . وَأَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ رِسَالَةً تَسْأَلُهُ فِيهَا إِذَا كَانَ مُمَكِّنًا أَنْ أَقَابِلَهُ قَبْلَ يَوْمِ ١٥ يُونِيَّةِ (حَزِيرَان) . »

سألني : « وأي اسم أذكره له ؟ »

أجبت : « توسدن ؛ فمن الأمان أن تنسى اسم هنائي . »

وجلس سير هاري إلى المنضدة وكتب رسالة جاء فيها :

« عمي العزيز :

لقد أعطيت رجلاً اسمه توسدن عنوانك ، ويرغب في مقابلتك
قبل يوم ١٥ يونيه .

أرجو أن تكون كريماً معه ، وتصدق حكايته . وعندما يحضر
لمقابلتك سوف يذكر لك عبارة « بلاك ستون » ، وسوف يغني
بعض مقاطع من أغنية « آني لوري » .

وقال سير هاري : « اعتقد أن الأمر هكذا على ما يرام . إن اسم
عمي هو سير ولتر بوليفانت ، ومسكنه بالقرب من أرتنزول ، على
نهر كنت . والآن ماذا تطلب بعد ذلك ؟ »

أجبت : « هل بإمكانك أن تعطيني حلة قديمة ، وتربني خريطة
غالواي ؟ إذ من المحتمل أن تحضر الشرطة إلى هنا للبحث عني .
وبإمكانك أن تربهم السيارة في الوادي ، لكن لا تقل لهم أي شيء
آخر . »

سألني : « وإذا جاء الجواسيس ، فماذا أقول لهم ؟ »

أجبت : « قل لهم إنني ذهبت إلى لندن . »

وأحضر سير هاري الحلة وخريطة غالواي ؛ فأخذت أطلع إلى
الخريطة باهتمام ، وتتبع خط سير السكك الحديدية صوب
الجنوب .

قال سير هاري وهو يشير إلى الخريطة : « ذلك هو الجزء
الموحش في المنطقة ؛ فاتجه مباشرة إلى ذلك الطريق ، ثم انحرف
يميناً . ويتبني أن تكون فوق التلال قبل إشراق الصباح ، وستكون
في أمان تام هناك . ولكن ينبغي أن تسافر إلى الجنوب قبل يوم ١٢
أو ١٣ يونيه . » ثم أعطاني دراجة قديمة .

وفي الثانية بعد منتصف الليل غادرت البيت . وفي الساعة
الخامسة أشرقت الشمس ، وكنت قد قطعت حوالي ثلاثين كيلو
متراً . وكانت التلال العالية ، والأودية الفسيحة الخضراء تحوطني
من كل جانب .

وَيَفْتَشُوا عَنِّي فِي التَّلَالِ . وَمَنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُمْ رَأَوْا دَرَاغَتِي ؛ لَذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْهَا .

وَتَرَكْتُ الطَّرِيقَ الرَّئِيسِيَّ ، وَأَخَذْتُ أَدْفَعُ الدَّرَاجَةَ أَمَامِي مَسَافَةً ثَلَاثِينَ مِثْرًا تَقْرِيْبًا . وَأَبْصَرْتُ حُفْرَةً مَلِئَةً بِالمَاءِ فَقَدَفْتُ الدَّرَاجَةَ فِيهَا .

وَكَانَ الْجَوُّ حَارًّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالسَّمَاءُ صَافِيَةً ؛ فَاسْتَطَعْتُ رُؤْيَا غَرْبِ الطَّرِيقِ وَشَرْقِهِ ، وَكَانَ خَالِيًا تَمَامًا . وَلَكِنِّي كُنْتُ مُتَأَكِّدًا أَنَّ أَعْدَائِي لَا بُدَّ أَنْ يَعُودُوا ثَانِيَةً إِلَى ذَلِكَ الطَّرِيقِ ؛ لَذَا فَقَدْ عُدْتُ أَدْرَاجِي إِلَى التَّلَالِ مُتَّجِهَاً نَحْوَ الشَّمَالِ .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ نَظَرْتُ خَلْفِي عَبْرَ التَّلَالِ ، وَعَلَى كِلَا الْجَانِبَيْنِ . وَلَمَّا كَانَ بَصَرِي قَوِيًّا ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى بُعْدٍ بَعْضَ الرِّجَالِ يَسِيرُونَ مُتَفَرِّقِينَ ، وَيَتَّجِهُونَ نَاحِيَةَ الْأَرْضِ الْمُرْتَفِعَةِ .

وَجَرَيْتُ إِلَى الْأَمَامِ وَلَكِنِّي لَمْ أَبْتَعِدْ كَثِيرًا . وَكَانَ ثَمَّةُ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ يُفْتَشُونَ الْوَادِي الْمَجَاوِرَ . وَقُلْتُ لِنَفْسِي : « لَنْ أُسْتَطِيعَ الْهَرَبَ مِنْ هُنَا ؛ لِأَنِّي إِذَا حَاوَلْتُ الْهَرَبَ فَسَوْفَ يَرَوْنِي ؛ لَذَا يَنْبَغِي عَلَيَّ الْبَقَاءَ فِي الْأَرْضِ الْمُرْتَفِعَةِ وَالْإِخْتِبَاءَ فِي مَكَانٍ مَا . »

وَجَرَيْتُ فَوْقَ قِمَّةِ التَّلِّ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الطَّرِيقِ مَرَّةً ثَانِيَةً . وَعِنْدَ

الفصل الخامس

عامل الطرق ذو النظارة

اسْتَرَحْتُ لَحْظَةً فَوْقَ قِمَّةِ التَّلِّ ، وَكَانَ الطَّرِيقُ يَمْتَدُّ أَمَامِي مُخْتَرِقًا مِسَاحَاتٍ مُسَطَّحَةً حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي . وَأَبْصَرْتُ مَنْزِلًا صَغِيرًا قَائِمًا بَيْنَ الْحُقُولِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ عِلَامَاتٍ أُخْرَى لِلْحَيَاةِ . وَكُنْتُ مُجْهِدًا فَتَمَدَّدْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَغْلَقْتُ عَيْنِي .

كَانَتْ السَّاعَةُ السَّابِعَةُ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ عَلَى صَوْتِ الطَّائِرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَلَمْ أَتَحَرَّكْ . وَكَانَتْ تَطِيرُ فَوْقَ التَّلَالِ فِي شَكْلِ دَوَائِرَ ضَيْقَةٍ . وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ اتَّجَهْتُ نَحْوِي ، وَاسْتَطَعْتُ رُؤْيَا قَائِدِ الطَّائِرَةِ وَمَعَهُ رَجُلٌ آخَرُ . وَكَانَ كِلَاهُمَا يَنْظُرُ إِلَيَّ ، وَتَأَكَّدْتُ تَمَامًا أَنَّهُمَا قَدْ تَعَرَّفَا عَلَيَّ . ثُمَّ صَعِدَتِ الطَّائِرَةُ إِلَى أَعْلَى بِسُرْعَةٍ وَاتَّجَهَتْ شَرْقًا .

وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَهْرَبَ فَوْرًا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ؛ لِئَلَّا يَعُودَ أَعْدَائِي

مُفْتَرِقِ طُرُقٍ كَانَ يَقِفُ عَامِلٌ طُرُقٍ ، وَأَدَوَاتُهُ مُلْقَاةٌ إِلَى جَانِبِهِ ،
يَسْتَعِدُّ لِلْعَمَلِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّكُ ببطءٍ شَدِيدٍ .

عِنْدَمَا اقْتَرَبَتْ مِنْهُ تَطَلَّعَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : « هَذِهِ مُهِمَّةٌ شَاقَّةٌ ، وَلَا
أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهَا الْيَوْمَ . فَالْحَقِيقَةُ أَنِّي مَرِيضٌ جِدًّا . »

وَكَانَ خَشِنَ الْمَظْهَرِ يَرْتَدِي نَظَارَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ جِدًّا
حَمْرَاوَيْنِ .

سَأَلَتْهُ ، وَكَنْتُ أَعْرِفُ الْإِجَابَةَ : « مَا الْأَمْرُ ؟ أَنْتَ تَقُومُ بِهَذَا
الْعَمَلِ يَوْمِيًّا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ لِمَاذَا لَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ الْيَوْمَ ؟ »

أَجَابَ : « أَنَا أَقُومُ بِهِ يَوْمِيًّا فِعْلًا ، لَكِنْ ابْنَتِي لَا تَأْتِي مِنْ
لُنْدَنَ يَوْمِيًّا . لَقَدْ وَصَلَتْ ابْنَتِي مَسَاءَ أَمْسٍ وَاحْتَفَلْنَا بِهَا . » وَخَلَعَ
نَظَارَتَهُ وَوَاصَلَ كَلَامَهُ : « لَقَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ، وَأَشْعُرُ
بِصُدَاعٍ فِي رَأْسِي . »

قُلْتُ : « أَنَا آسِفٌ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْفِرَاشَ هُوَ أَنْسَبُ مَكَانٍ لَكَ . »

قَالَ : « لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ بِمِثْلِ هَذِهِ السُّهُولَةِ ؛ فَقَدْ تَلَقَّيْتُ
رِسَالَةً بِالْأَمْسِ جَاءَ فِيهَا أَنَّ مُفْتَشَّ الطُّرُقِ الْجَدِيدِ سَيَحْضُرُ الْيَوْمَ

لِيَتَفَقَّدَ سَيْرَ الْعَمَلِ هُنَا . فَإِذَا ذَهَبْتُ إِلَى الْفِرَاشِ ، فَلَنْ يَجِدَنِي
هُنَا ، وَبِالتَّالِي سَأَفْقِدُ وَظِيفَتِي . »

وَفَجْأَةً خَطَرْتُ بِبَالِي فِكْرَةً رَائِعَةً ، فَقُلْتُ لَهُ : « اِسْمَعْ ، رُبَّمَا
أَسْتَطِيعُ مُسَاعَدَتَكَ . إِذَا كُنْتُ تَشْعُرُ بِأَنَّكَ مُتَعَبٌ وَلَا تَسْتَطِيعُ
الْعَمَلَ ، فَيَا مَكَانَكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْفِرَاشِ . هَلِ الْمَفْتَشُّ الْجَدِيدُ
يَعْرِفُكَ جَيِّدًا ؟ »

أَجَابَ : « لَا ! فَأَنَا لَمْ أَقَابِلْهُ مِنْ قَبْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، لَكِنِّي
سَمِعْتُ عَنْهُ أَنَّهُ يَتَنَقَّلُ فِي الْمِنْطَقَةِ بِسَيَّارَةٍ صَغِيرَةٍ . »

سَأَلَتْهُ : « أَيْنَ بَيْتُكَ ؟ »

أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَوْجُودِ بَيْنَ الْحُقُولِ .

قُلْتُ : « عَظِيمٌ ! فَلْتَذْهَبْ أَنْتَ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَلَتَنَمْ فِي سَلَامٍ ،
وَسَأَقُومُ بِعَمَلِكَ الْيَوْمَ . وَإِذَا كَانَ الْمَفْتَشُّ لَا يَعْرِفُكَ ؛ فَلَنْ يَعْرِفَنِي
بِالطَّبْعِ . »

نَظَرَ إِلَيَّ بِامْتِنَانٍ وَقَالَ : « أَنْتَ إِنْسَانٌ لَطِيفٌ جِدًّا . وَسَيَكُونُ
الْعَمَلُ سَهْلًا جِدًّا ، وَلَكِنْ تَحْتَاجُ إِلَى بَدَلٍ مَجْهُودٍ كَبِيرٍ . »

وأشار إلى كومة من الحجارة ومطربة ، وقال : « لقد قمت
بتكسير هذه الحجارة بالأمس ، وليس مطلوباً منك اليوم أن تفعل
ذلك ، وما عليك سوى أن تأخذ العربة ذات العجلتين ، وتمضي بها
على الطريق حتى تصل إلى كومة الحجارة ؛ فتملأها بالحجارة ثم
تعود لتفريغها هنا . إن اسمي ألكسندر تيرنبل ، ولكن أصدقائي
يسمونني « ذا النظارة » . وعليك عندما يأتي المفتش أن تتحدث
إليه بلطف ، وتناديه بـ « سيدي » ، وسوف يسعده ذلك تماماً .

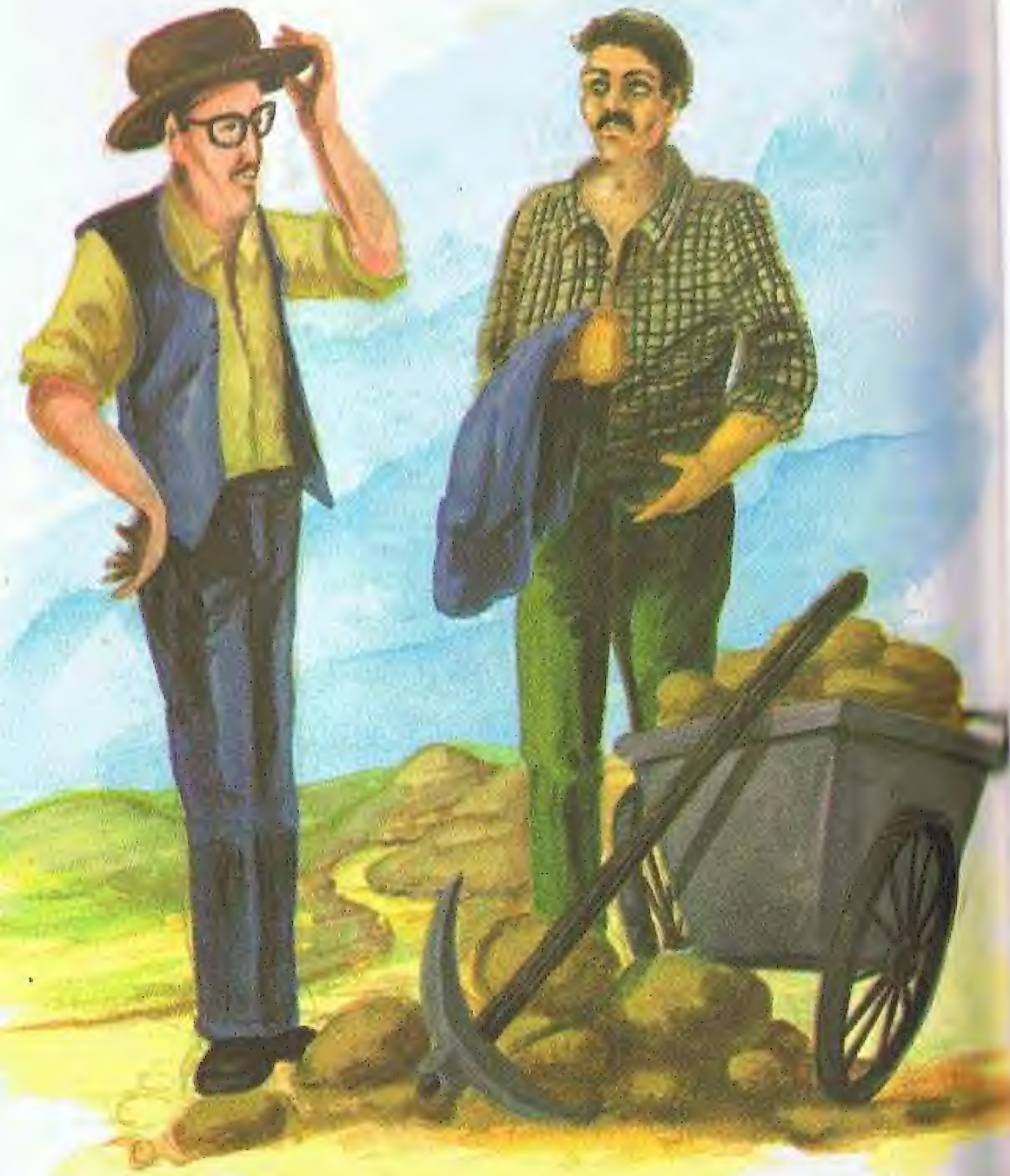
قلت : « لعل المفتش يعلم أنك تلبس نظارة فدعني أقترضها
منك اليوم . »

ضحك ثانية وقال : « حسن ، حسن ، إنه تصرف لبق .
وأعطاني نظارته وقبعته القديمة المتربة .

وخلعت معطفي وأعطيته إياه قائلاً : « خذ هذا معك إلى البيت ،
واحفظه لي عندك . »

بعد ذلك تركني وأنصرف .

ولم تمض عشر دقائق إلا كنت أشبه بعامل طرقي ، فقد نثرت
تراباً على بنطلوني وحذائي ، وربطت بنطلوني أسفل الركبتين مثل



بَنَظْلُونِ تِيرَنْبَل . وَلَأنَّ الْجَوَاسِيْسَ الْأَلْمَانَ لَا يَفُوتُهُمْ شَيْءٌ ؛ فَقَدْ
كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكْتَشِفُوا أَمْرِي بِسَبَبِ يَدَيِ النَّظِيفَتَيْنِ النَّاعِمَتَيْنِ ؛
لِذَا فَقَدْ دَعَكْتُهُمَا فِي الثَّرَابِ .

كَانَ تِيرَنْبَلُ قَدْ تَرَكَ طَعَامَهُ وَجَرِيدَتَهُ بِجِوَارِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَتْ
السَّاعَةُ الثَّامِنَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِالْجُوعِ تَمَامًا ؛ لِذَا
فَقَدْ اسْتَوْلَيْتُ عَلَى كِسْرَةٍ خُبْزٍ وَقِطْعَةٍ جُبْنٍ ، وَتَنَاوَلْتُ وَجَبَةً سَرِيعَةً .

بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأْتُ أُمَارِسُ عَمَلِي الْجَدِيدَ ، وَأَخَذْتُ أَدْفَعُ الْعَرَبَةَ عَلَى
الطَّرِيقِ ذَهَابًا وَإِيَابًا . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقُومُ بِالْعَمَلِ تَذَكَّرْتُ صَدِيقًا
قَدِيمًا مِنْ رُودِيسِيَا ، كَانَ يَعْمَلُ شَرْطِيًّا عِنْدَمَا عَرَفْتُهُ ، وَكَانَ يَقُومُ
بِأَعْمَالِ غَرِيبَةٍ طَوَالَ حَيَاتِهِ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَتَعَرَّضُ لِلْخَطَرِ ، وَمِنْ
هُنَا عَرَفَ قِيَمَةَ التَّنَكُّرِ الْمُتَقَنِّ . وَقَدْ دَابَّ عَلَى أَنْ يَقُولَ : « إِنَّ التَّنَكُّرَ
وَحْدَهُ لَا يَكْفِي يَا هُنَاي ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تُحَاوَلَ أَنْ تَكُونَ شَخْصًا آخَرَ .
وَيَجِبُ أَنْ تُصَدِّقَ ذَلِكَ أَنْتَ نَفْسُكَ . فَإِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَفْعَلَ ، فَإِنَّ
تَنَكُّرَكَ سَرْعَانَ مَا يَنْكَشِفُ . »

وَهَكَذَا تَخَيَّلْتُ نَفْسِي آنَذَاكَ عَامِلَ طَرِيقٍ ، وَفَكَّرْتُ فِي حَيَاتِي
وَوَظِيفَتِي ، وَكَيْفَ أَنْتِي أَعِيشُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ بِالْوَادِي ، وَأَنْ ابْنَتِي
جَاءَتْ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ ، وَأَنَا أَقْمُنَا لَهَا حَفْلَةً ، وَأَنْتِي سَهَرْتُ حَتَّى

شَعَرْتُ بِالتَّعَبِ وَلَكِنَّ الْمُفْتَشَّ يُرِيدُ أَنْ يَرَانِي الْيَوْمَ ، وَيَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ
أَنْتَظِرَ قُدُومَهُ .

وَقُمْتُ بِالْعَمَلِ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ وَأَصْبَحْتُ مُتَسِيخًا تَمَامًا ، فَقَدْ
كَانَتْ مُهِمَّةٌ مَلِئَةٌ بِالثَّرَابِ . وَفَجْأَةً سَمِعْتُ صَوْتًا يَنْبَعُثُ عَلَى
الطَّرِيقِ فَتَطَلَّعْتُ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ . وَكَانَتْ ثَمَّةَ سَيَّارَةٍ صَغِيرَةٍ قَدْ
تَوَقَّفَتْ وَنَزَلَ مِنْهَا شَابٌّ وَشَرَعَ يَتَحَدَّثُ إِلَيَّ .

سَأَلَنِي : « هَلْ أَنْتَ الْكَسْنَدَرُ تِيرَنْبَلُ ؟ أَنَا مُفْتَشُّ الطَّرِيقِ الْجَدِيدِ ،
وَمَكْتَبَتِي فِي بَلَدِيَّةِ الْمَدِينَةِ فِي نِيُوتُون - سِتِيُوارْتِ . إِنَّ الطَّرِيقَ عَلَى مَا
يُرَامُ هُنَا يَا تِيرَنْبَلُ ، وَثَمَّةَ مَنَاطِقَةٍ رَخْوَةٍ عَلَى بُعْدِ كِيلُومِترٍ مِنْ هُنَا ،
وَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تُنَظِّفَ جَوَانِبَ الطَّرِيقِ . سَأَعُودُ مَرَّةً ثَانِيَةً الْأُسْبُوعَ
الْقَادِمَ . أَسْعِدْتَ صَبَاحًا . »

وَأَنْطَلَقَ بِسَيَّارَتِهِ وَشَعَرْتُ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ ؛ فَقَدْ جَازَ عَلَيْهِ تَنَكُّرِي .
وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ ظَهَرَ مُزَارِعٌ يَسُوقُ أَمَامَهُ قِطْعًا مِنَ
الْغَنَمِ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ تَوَقَّفَ ، وَسَأَلَنِي : « مَاذَا حَدَثَ
لِذِي النَّظَّارَةِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « إِنَّهُ مَرِيضٌ ، وَأَنَا أَقُومُ بِالْعَمَلِ بَدَلًا مِنْهُ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ .
وَعِنْدَ الظُّهْرِ مَرَّتْ بِي سَيَّارَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَتَوَقَّفَتْ عَلَى بُعْدِ مِئَةِ مِترٍ ،

وَنَزَلَ مِنْهَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ اتَّجَهُوا نَاحِيَتِي بَيْطُءٍ .

كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ مِنْ قَبْلُ ، وَكَانَا قَدْ قَامَا بِزِيَارَةِ فُنْدُقِ
غَالَوَايَ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا نَحِيفًا أَسْوَدَ الشَّعْرِ ، وَ الْآخَرُ بَدِينًا إِلَى حَدِّ
مَا . وَلَمْ أَعْرِفِ الرَّجُلَ الثَّالِثَ الَّذِي كَانَ أَكْبَرَ سِنًا مِنْهُمَا .

قَالَ لِي الرَّجُلُ الثَّالِثُ : « صَبَاحُ الْخَيْرِ ! إِنَّكَ تَقُومُ بِمِهْنَةٍ
لَطِيفَةٍ وَسَهْلَةٍ هُنَا . »

وَلَمْ أَجِبْهُ فِي الْحَالِ ، وَأَنْزَلْتُ الْعَرَبَةَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَاعْتَدَلْتُ
بَيْطُءٍ . وَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِاحْتِرَاسٍ دُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ شَيْءٌ .

قُلْتُ : « ثَمَّةٌ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْ تِلْكَ الْمِهْنَةِ ، لَكِنْ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ
يَكُونَ ثَمَّةٌ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهَا . وَكُنْتُ أَفْضَلُ أَنْ أَقُومَ بِمِهْنَتِكُمْ
وَأَجْلِسَ طَوَالَ الْيَوْمِ فِي هَذِهِ السَّيَّارَةِ الْكَبِيرَةِ . »

كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي تَكَلَّمَ يَتَطَلَّعُ إِلَى جَرِيدَةٍ تِيرَنْبُلٍ . فَسَأَلَنِي :
« هَلْ تَصِلُكَ الْجَرَائِدُ كُلُّ يَوْمٍ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « نَعَمْ تَصِلُنِي ، لَكِنِّي لَمْ أَحْصِلْ عَلَيْهَا لِثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ
أَيَّامٍ مَضَتْ . »

وَالْتَقَطَ الرَّجُلُ الصَّحِيفَةَ وَنَظَرَ إِلَى التَّارِيخِ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ

وَضَعَهَا مَكَانَهَا ثَانِيَةً . وَنَظَرَ الرَّجُلُ النَّحِيفُ إِلَى حِذَائِي وَقَالَ بِضَعْ
كَلِمَاتٍ بِالْأَلْمَانِيَّةِ .

عِنْدَئِذٍ قَالَ الرَّجُلُ الْأَكْبَرُ سِنًا : « إِنَّكَ تَنْتَعِلُ حِذَاءً جَمِيلًا . هَلْ
اشْتَرَيْتَهُ مِنْ هُنَا ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَا ! هَذَا الْحِذَاءُ مِنْ لَنْدَنَ ، وَقَدْ حَصَلْتُ عَلَيْهِ مِنْ
رَجُلٍ كَانَ يَصْطَادُ هُنَا الْعَامَ الْمَاضِي . تُرَى مَا اسْمُهُ ؟ » وَأَخَذْتُ أَفْرَكُ
أَذْنِي مُتَظَاهِرًا بِتَدَكُّرِ اسْمِهِ .

قَالَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ بِالْأَلْمَانِيَّةِ : « هَيَّا بِنَا ؛ فَهَذَا الرَّجُلُ لَا عُبَارَ
عَلَيْهِ . »

وَسَأَلُونِي سُؤلاً أَخِيراً : « هَلْ مَرَّ أَحَدٌ مِنْ هُنَا مُبَكِّراً صَبَاحَ الْيَوْمِ ،
لَعَلَّهُ كَانَ يَرْكَبُ دَرَاجَةً ؟ »

وَفَكَّرْتُ فِي هَذَا السُّؤَالِ لَحْظَةً ، ثُمَّ قُلْتُ : « فِي الْحَقِيقَةِ ، لَقَدْ
تَأَخَّرْتُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي الْمَجِيءِ إِلَى هُنَا هَذَا الصَّبَاحَ ؛ لِأَنَّ ابْنَتِي
عَادَتْ مِنْ لَنْدَنَ مَسَاءً أَمْسَ ، وَاحْتَفَلْنَا بِقُدُومِهَا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ،
وَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ حَوَالَى السَّابِعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَحَدٍ عَلَى
الطَّرِيقِ آنَذَاكَ . »

وَدَعَنِي الرَّجَالُ الثَّلَاثَةُ وَأَنْصَرَفُوا إِلَى سَيَّارَتِهِمْ ، وَبَعْدَ ثَلَاثِ دَقَائِقَ انْطَلَقُوا بِهَا .

وَشَعَرْتُ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ لِرَحِيلِهِمْ . وَوَاصَلْتُ عَمَلِي ، وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ حَكِيمًا ؛ إِذْ سَرَعَانِ مَا عَادُوا بِالسَّيَّارَةِ ، وَنَظَرُوا إِلَيَّ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَهُمْ يَمْرُونَ بِي .

وَأَتَيْتُ عَلَى طَعَامِ تِيرَنْبُلِ الْمَكُونِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ . وَفِي حَوَالِي الْخَامِسَةِ كُنْتُ قَدْ فَرَعْتُ مِنَ الْعَمَلِ .

وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ شَيْئًا عَمَّا أَفْعَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَقَدْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ تَمَامًا بِأَنْ أَعْدَائِي لَا يَزَالُونَ يَحُومُونَ حَوْلَ الْمِنْطَقَةِ . فَلَوْ أَنِّي تَمَشَّيْتُ فِي الْمِنْطَقَةِ لَأَسْتَوْقِفُونِي ؛ لِذَا عَلَيَّ أَنْ أَفِرَّ مِنْهُمْ .

وَقَرَّرْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ تِيرَنْبُلِ ؛ لِأَعِيدَ إِلَيْهِ أَدَوَاتَهُ وَأَسْتَرِدَّ مِعْطَفِي ، وَأَبْقَى هُنَاكَ حَتَّى يَحِلَّ الظَّلَامُ أَمِلًا الْفِرَارَ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْرَ التَّلَالِ .

وَلَكِنْ فَجَاءَتْ أَقْبَلْتُ سَيَّارَةً أُخْرَى وَتَوَقَّفَتْ . وَكَانَ بِهَا رَجُلٌ نَادَى عَلَيَّ قَائِلًا : « هَلْ مَعَكَ عُلْبَةٌ ثِقَابٍ ؟ »

وَعِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَرَفْتُهُ عَلَى الْفُورِ . وَكَانَتْ هَذِهِ فُرْصَةً طَيِّبَةً

لِلْغَايَةِ . كَانَ اسْمُهُ مَارْمَادِيوكُ جُوبَلِي ، وَكُنْتُ قَدْ قَابَلْتُهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فِي لَنْدَنَ ؛ فَكَّرَهُتُهُ . وَكَانَ يُصَادِقُ الشُّبَّانَ الْأَثْرِيَاءَ ، وَالنِّسْوَةَ الْعَجَائِزَ اللَّاتِي كُنْ يَدْعُوهُ كَثِيرًا لِزِيَارَةِ بِيوتِهِنَّ . وَعَلَى آيَةِ حَالٍ ، كَانَ جُوبَلِي شَخْصًا ضَعِيفًا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِذَائِي ، فَقَرَّرْتُ التَّصَرُّفَ بِسُرْعَةٍ .

قُلْتُ : « أَهْلًا ، يَا جُوبَلِي . إِنَّهَا مُفَاجَأَةٌ أَنْ أُرَاكَ هُنَا . »

شَحَبَ وَجْهُهُ وَسَأَلَنِي بِعَصِيَّةٍ : « مَنْ أَنْتَ ؟ »

قُلْتُ : « أَنَا هُنَايَ ، مِنْ رُودِيسِيَا ؛ أَلَا تَتَذَكَّرُنِي ؟ »

صَاحَ قَائِلًا : « هُنَايَ ، الْقَاتِلُ ! »

قُلْتُ : « بِالضَّبْطِ . وَالْآنَ أَصْنَعُ إِلَيْكَ . إِذَا لَمْ تُطْعَمْ أَوْامِرِي بِسُرْعَةٍ ؛

فَسَوْفَ أَصْبِحُ قَاتِلُ جُوبَلِي أَيْضًا . أُعْطِنِي مِعْطَفَكَ وَقَبِّعَتَكَ . »

وَكَانَ خَائِفًا جِدًّا ، حَتَّى إِنَّهُ أَطَاعَنِي عَلَى الْفُورِ . وَارْتَدَيْتُ

مِعْطَفَهُ الْجَدِيدَ فَوْقَ الْمَلَابِسِ الْمَلِيشَةِ بِالتُّرَابِ ، وَوَضَعْتُ قَبِّعَتَهُ فَوْقَ

رَأْسِي ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ نَظَّارَةَ تِيرَنْبُلِ وَقَبِّعَتَهُ الْقَدِيمَةَ الْمَتْسِخَةَ ، وَقُلْتُ لَهُ :

« ارْتَدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لِعِدَّةِ دَقَائِقَ ؛ فَهِيَ أَدَوَاتٌ جَيِّدَةٌ لِلتَّنَكُّرِ . »

وَحِرْتُ أَيَّ طَرِيقٍ أَسْلُكُ ؟ وَكَانَ جُوبَلِي قَدْ جَاءَ مِنْ نَاحِيَةِ
الشَّرْقِ ؛ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَعُودَ مِنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ لِأَنَّ أَعْدَائِي إِذَا كَانُوا
يُرَاقِبُونَ الطَّرِيقَ فَسَوْفَ يَتَعَرَّفُونَ عَلَى السَّيَّارَةِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ لَنْ
يُوقِفُوهَا . وَأَدْرْتُ السَّيَّارَةَ وَأَنْطَلَقْتُ بِهَا .

قُلْتُ لَهُ : « وَالْآنَ اسْمَعْ يَا جُوبَلِي : إِذَا تَصَرَّفْتَ تَصَرُّفًا لَائِقًا
فَلَنْ أُؤْذِيكَ . وَكُلُّ مَا أَرْجُوهُ إِلَّا تَقُومَ بِخُدْعَةٍ أَوْ تَتَكَلَّمَ . وَتَذَكَّرُ أَنَّنِي
قَاتِلٌ ؛ فَإِذَا تَسَبَّبَتْ فِي آيَةٍ مَتَاعِبَ ؛ قَتَلْتُكَ . »

وَسَرْنَا بِالسَّيَّارَةِ مَسَافَةً أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ كِيلُو مِثْرَاتٍ عَبْرَ الْوَادِي .
وَكَانَ هُنَاكَ عَدِيدٌ مِنَ الرِّجَالِ يَقِفُونَ عِنْدَ بَعْضِ الْمُنْحِنِيَّاتِ أَثْنَاءَ
انْطِلَاقِنَا بِسُرْعَةٍ بِالسَّيَّارَةِ . وَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّيَّارَةِ بِاحْتِرَاسٍ ،
لَكِنَّهُمْ لَمْ يُحَاوِلُوا إِيقَافَنَا . وَفِي حَوَالِي السَّابِعَةِ انْحَرَفْنَا فِي طَرِيقٍ
ضَيِّقٍ وَأَنْطَلَقْنَا إِلَى التَّلَالِ .

وَأَصْبَحَتِ الْقُرَى وَالْبُيُوتُ وَرَاءَنَا . وَفِي النِّهَايَةِ أَوْقَفْتُ السَّيَّارَةَ فِي
مَكَانٍ هَادِيٍّ وَتَرَكْتُهَا لِجُوبَلِي . وَأَعْطَيْتُهُ مِعْطَفَهُ وَقَبْعَتَهُ كَذَلِكَ ،
وَاسْتَعَدْتُ نَظَارَةَ تِيرَنْبِلَ وَقَبْعَتَهُ الْقَدِيمَةَ .

قُلْتُ لَهُ : « أَشْكُرُكَ . الْآنَ يُمَكِّنُكَ الدَّهَابُ ، وَإِبْلَاغُ الشُّرْطَةِ . »

وَأَنْطَلَقَ بِالسَّيَّارَةِ ، وَأَخَذْتُ أَرَاقِبُ أَضْوَاءَهَا الْخَلْفِيَّةَ الْحُمْرَاءَ ،
وَهِيَ تَخْتَفِي بَعِيدًا .

بَعْدَ الطَّعَامِ . أَمَّا الْآنَ فَأَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِدَفْعِ خَمْسَةِ جَنِيَّهَاتٍ مُقَابِلَ تَفَاحَةٍ .

وَقَبِيلَ الصَّبَاحِ نِمْتُ قَلِيلًا ، وَلَكِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فِي حَوَالِي السَّادِسَةِ ، وَنَهَضْتُ وَأَخَذْتُ أَتَطَّلُعُ إِلَى الْوَادِي ، ثُمَّ فَجَاءَ لَاحَ أَمَامِ نَاضِرِي شَيْءٌ ؛ فَاسْتَلَقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي فِي الْحَالِ فِي دَهْشَةٍ شَدِيدَةٍ .

كَانَ نَمَّةٌ رِجَالٌ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ يُفْتَشُونَ بَيْنَ الْأَعْشَابِ ، وَعَلَى مَبْعَدَةٍ نِصْفِ كِيلُو مِثْرٍ فَقَطُ مِنِّي .

وَزَحَفْتُ بِضَعَّةٍ أُمْتَارٍ وَاخْتَبَأْتُ خَلْفَ صَخْرَةٍ ، وَلاَحَظْتُ وُجُودَ شَقٍّ يَصِلُ إِلَى قِمَّةِ التَّلِّ ؛ فَزَحَفْتُ إِلَى ذَلِكَ الشَّقِّ وَشَرَعْتُ أَتَسَلَّقُ إِلَى أَعْلَى ، وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْقِمَّةِ ، رَفَعْتُ رَأْسِي ثَانِيَةً ، فَارَأَيْتُ أَعْدَائِي يُفْتَشُونَ خِلَالَ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ .

وَتَدَحَّرَجْتُ مِنْ فَوْقِ الْقِمَّةِ إِلَى السَّفْحِ ، وَبِالتَّالِي لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَرَانِي . وَأَخَذْتُ أَعْدُو لِمَسَافَةٍ تَزِيدُ عَلَى نِصْفِ كِيلُو مِثْرٍ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى الْقِمَّةِ مَرَّةً أُخْرَى وَوَقَفْتُ مُعْتَدِلًا ، فَرَأَيْتُ الرِّجَالَ وَتَحَرَّكُوا نَحْوِي ، فَجَرَيْتُ عَائِدًا إِلَى مَكَانِي الْأَوَّلِ عَلَى حِينٍ كَانَ أَعْدَائِي يَتَجَهَّوْنَ صَوْبَ الْإِتِّجَاهِ الْخَاطِئِ ، فَشَعَرْتُ بِالْأَمَانِ .

الفصل السادس

مُغَامَرَتِي مَعَ الرَّجُلِ الْأَصْلَعِ

كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ ، وَكُنْتُ جَائِعًا . فَمِعِظْفِي كَانَ مَعَ تِيرَنْبِلٍ ، وَسَاعَتِي وَمُفَكَّرَةٍ اسْكُدِرٍ دَاخِلٍ أَحَدِ جَيُوبِهِ . أَمَّا نُقُودِي فَكَانَتْ دَاخِلَ جَيْبٍ بَنُطْلُونِي .

وَاسْتَلَقَيْتُ وَسَطَ بَعْضِ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعِ النَّوْمَ . وَأَخَذْتُ أَفَكِّرُ فِي كُلِّ النَّاسِ الَّذِينَ سَاعَدُونِي ، وَأَنْتَهَيْتُ إِلَى أَنَّي رَجُلٌ مَحْظُوظٌ جِدًّا .

كَانَ الطَّعَامُ هُوَ مُشْكِلَتِي الرَّئِيسِيَّةُ . وَأَعْلَقْتُ عَيْنِي فَتَرَاءْتُ لِي شَرَائِحُ لَحْمٍ سَمِيكَةٍ فَوْقَ طَبَقٍ أَبْيَضٍ . وَتَذَكَّرْتُ كُلَّ الْوَجَبَاتِ الشَّهِيَّةِ الَّتِي أَكَلْتُهَا فِي لَنْدَنَ ، وَكَيْفَ كُنْتُ أَرْفُضُ تَنَاوُلَ الْفَاكِهَةِ

وَكَانَتْ أَفْضَلُ خُطَّةٍ لِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الشَّمَالِ ، فَاخْتَرْتُ طَرِيقِي
بِحَرَصٍ . وَكَانَ يَفْصِلُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَعْدَائِي وَادٍ فَسِيحٌ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا
اِكْتَشَفُوا خَطَاهُمْ ، عَادُوا مُسْرِعِينَ . وَفَجَاةً رَأَيْتَهُمْ فَوْقَ قِمَّةِ التَّلِّ ،
وَبَدَأُوا يُنَادُونَ عَلَيَّ . وَاكْتَشَفْتُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَعْدَائِي الْحَقِيقِيِّينَ ؛ إِذْ
كَانَ اثْنَانِ مِنْهُمْ مِنْ رِجَالِ الشُّرْطَةِ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « رُبَّمَا يَكُونُ جُوبَلِي قَدْ أَبْلَغَ عَنِّي ، وَهُمْ الْآنَ
يَبْحَثُونَ عَنِ الْقَاتِلِ . »

وَجَرَى مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَهْبِطَانِ التَّلَّ نَحْوِي ، وَجَرَى رَجُلُ الشُّرْطَةِ
الْآخَرُونَ فَوْقَ الْقِمَّةِ بِاتِّجَاهِ الشَّمَالِ . وَشَعَرْتُ بِالْخَوْفِ فِي تِلْكَ
اللَّحْظَةِ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ يَعْرِفُونَ الْمِنْطَقَةَ . صَحِيحٌ أَنَّ سَاقِي قَوِيَّتَانِ ،
وَنَفْسِي طَوِيلٌ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ هُنَا .

وَتَرَكْتُ قِمَّةَ التَّلِّ وَانْدَفَعْتُ أَجْرِي نَاحِيَةَ نَهْرٍ . وَكَانَ ثَمَّةُ طَرِيقٍ
يَسِيرُ بِمُحَاذَةِ النَّهْرِ ، وَلاَحَظْتُ بَوَابَةً عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، فَفَقَرْتُ
مِنْ فَوْقِهَا وَأَخَذْتُ أَجْرِي فِي مَمَرٍ وَسَطٍ حَقْلٍ . وَقَادَنِي الْمَمَرُ إِلَى
مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ ، حَيْثُ تَوَقَّفْتُ وَنَظَرْتُ خَلْفِي . وَكَانَ رَجُلُ
الشُّرْطَةِ عَلَى بُعْدِ كِيلُو مِثْرٍ تَقْرِيبًا وَرَائِي .

وَاجْتَرَزْتُ حَائِطًا مُنْخَفِضًا وَرَاءَ الْأَشْجَارِ ، فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي فِنَاءٍ

مَزْرَعَةٍ . وَكَانَ مَنْزِلُ الْمَزْرَعَةِ عَلَى بُعْدِ خَمْسِينَ مِثْرًا ، وَبِجَانِبِ الْمَنْزِلِ
كَانَ ثَمَّةُ مَبْنَى زُجَاجِيٍّ بِدَاخِلِهِ رَجُلٌ عَجُوزٌ يَجْلِسُ إِلَى مَكْتَبٍ ،
وَأَخَذَ يَتَطَّلَعُ إِلَيَّ وَأَنَا مُتَّجِهَةٌ نَحْوَ الْمَبْنَى .

كَانَتْ الْغُرْفَةُ زَاخِرَةً بِالْكَتَبِ وَالْحَقَائِبِ الْمَلِيئَةِ بِأَدَوَاتِ حَجَرِيَّةٍ
قَدِيمَةٍ وَأَوَانٍ مُحْطَمَةٍ . وَرَأَيْتُ صِنَادِيقَ عَدِيدَةٍ لِلْعَمَلَاتِ الْقَدِيمَةِ .
وَكَانَتْ الْكَتَبُ وَالْأَوْرَاقُ تَغْطِي مَكْتَبَ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ .

وَكَانَ يَبْدُو عَطُوفًا ، ذَا وَجْهِ مُسْتَدِيرٍ وَرَأْسٍ أَصْلَعٍ ، وَكَانَ يَضَعُ
عَلَى عَيْنَيْهِ نَظَّارَةً كَبِيرَةً . وَعِنْدَمَا دَخَلْتُ لَمْ يَتَحَرَّكْ أَوْ يَتَكَلَّمَ ، وَلَمْ
أَسْتَطِعْ بِدَوْرِي أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً . وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، وَلاَحَظْتُ عَيْنَيْهِ ،
كَانَتَا صَغِيرَتَيْنِ وَبَرَّاقَتَيْنِ وَصَافِيَتَيْنِ لِلْغَايَةِ . أَمَّا رَأْسُهُ الْأَصْلَعُ فَكَانَ
يَلْمَعُ مِثْلَ مِرَاةٍ .

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ يَبْطُءٌ : « أَنْتِ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ ، يَا صَدِيقِي . »

أَشَرْتُ إِلَى الْمَزْرَعَةِ وَإِلَى الْحَقْلِ حَيْثُ كَانَ بَعْضُ الْأَشْخَاصِ
يَسْلُقُونَ الْبَوَابَةَ الْمُقَامَةَ عَلَى الطَّرِيقِ .

قَالَ : « آه ! إِنَّهُمْ رِجَالُ الشُّرْطَةِ ، وَأَنْتِ تَهْرَبُ مِنْهُمْ . حَسَنٌ ،
بِمَكَانِنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ ؛ فَأَنَا لَا أَوْدُ أَنْ تَدْخُلَ

الشُّرْطَةُ إِلَى هُنَا . لَوْ ذَهَبْتَ إِلَى الْحَجَرَةِ ، فَسَوْفَ تَجِدُ بَابَيْنِ . ادْخُلْ
مِنَ الْبَابِ الْأَيْسَرِ ، وَأَغْلِقْهُ خَلْفَكَ . وَسَتَكُونُ فِي أَمَانٍ هُنَاكَ .
ثُمَّ التَّقَطَّ قَلَمًا وَوَاصَلَ عَمَلَهُ .

وَأَطَعْتُهُ عَلَى الْفَوْرِ ، وَذَهَبْتُ إِلَى الْحَجَرَةِ الْمُجَاوِرَةِ ، وَدَخَلْتُ مِنْ
الْبَابِ الْأَيْسَرِ ، وَكَانَ الظَّلَامُ دَامِسًا بِالْدَاخِلِ ، وَلَا تَوْجَدُ سِوَى نَافِذَةٍ
وَاحِدَةٍ بِأَعْلَى الْحَائِطِ .

وَكُنْتُ آمِنًا مِنَ الشُّرْطَةِ فِي هَذِهِ الْحَجَرَةِ ، لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ
مُطْمَئِنًّا تَمَامًا . وَفِي الْحَقِيقَةِ أَحْسَسْتُ بِالرَّيْبَةِ ؛ فَقَدْ جَرَى كُلُّ
شَيْءٍ بِطَرِيقَةٍ سَهْلَةٍ حَتَّى إِنِّي بَدَأْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي : « لِمَاذَا سَاعَدَنِي
هَذَا الْعَجُوزُ ؟ إِنِّي لَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلُ قَطُّ ، وَلَمْ يَسْأَلْنِي آيَةَ اسْتِثْنَاءٍ ! »

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ ، أَخَذْتُ أَفْكَرَ فِي الطَّعَامِ ثَانِيَةً ، وَأَخْطِطُ
لِإِفْطَارِي عَلَى أَنْ يَكُونَ شَرِيحَةً لَحْمٍ وَبَيْضًا ، وَيَالَهُ مِنْ تَخْطِيطٍ مُثِيرٍ !
وَبِالطَّبِيعِ لَنْ يَرْفُضَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ أَنْ يُقَدِّمَ لِي ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ
يُمْكِنُنِي أَنْ أَكُلَ نِصْفَ كِيلُو غَرَامٍ مِنَ اللَّحْمِ وَعَشْرَ بَيْضَاتٍ . وَبَيْنَمَا
كُنْتُ أَفْكَرُ فِي تِلْكَ الْوَجْبَةِ فَتَحَ الْبَابُ ، وَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ كَانَ يَقِفُ
بِالْخَارِجِ ، فَتَبِعْتُهُ إِلَى حُجَرَةِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ .



سَأَلَتْهُ : « هَلْ أَنْصَرَفَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ ؟ »

أَجَابَنِي : « نَعَمْ ، وَسَأَلُونِي عَمَّا إِذَا كُنْتُ قَدْ جِئْتُ إِلَى هُنَا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَخْبِرْهُمْ بِشَيْءٍ ذِي أَهَمِّيَّةٍ . إِنَّهُ صَبَاحَ مَيِّمُونُ الطَّالِعِ لَكَ يَا سَيِّدَ رَيْتَشَارْدَ هُنَاي ! »

وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِهَدْوٍ ، وَبَدَأَ لِي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَكَأَنَّهُ شَابٌّ يَافِعٌ . وَكُنْتُ أَرَا قَبْلَهُ طَوَالَ الْوَقْتِ ، فَقَدْ كَانَ مُغْمِضًا عَيْنَيْهِ نِصْفَ إِعْمَاضَةٍ ، مِثْلَ عَيْنِي الطَّائِرِ .

وَفَجْأَةً تَذَكَّرْتُ مَا قَالَهُ لِي اسْكُدِر : « لَوْ رَأَيْتَ عَيْنَيْهِ يَا هُنَاي ، فَلَنْ تَنْسَاهُمَا أَبَدًا . »

أَيَكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَدُوَّ اسْكُدِر اللَّدُودَ ؟ أَمْ مَوْجُودٌ أَنَا فِي بَيْتِ عَدُوِّي ؟ سَأَقْدِمُ عَلَى قَتْلِهِ لَوْ صَحَّتْ ظُنُونِي .

وَسَبَرَ الرَّجُلُ دَخِيلَتِي وَابْتَسَمَ ، ثُمَّ تَحَرَّكَتْ عَيْنَاهُ نَاحِيَةَ الْبَابِ الْمَوْجُودِ خَلْفِي ، فَالْتَفَتُ وَرَأَيْتُ رَجُلَيْنِ مُسْلَحَيْنِ .

كَانَ يَعْرِفُ اسْمِي ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى مِنْ قَبْلُ . وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ فُرْصَتِي الْوَحِيدَةَ .

سَأَلَتْهُ : « مَا الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ؟ إِنَّ اسْمِي لَيْسَ رَيْتَشَارْدَ هُنَاي . »

إِنَّ اسْمِي آيْنَسْلِي .

قَالَ مُبْتَسِمًا : « أَهُوَ كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنْ بِالطَّبَعِ لَكَ أَسْمَاءُ أُخْرَى . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَنْ نَخْتَلِفَ عَلَى الْاسْمِ . »

وَفَكَّرْتُ سَرِيعًا فِي خُطَّةٍ أُخْرَى . وَلَمْ يَكُنْ مُعْطَفِي مَعِي ، وَمَلَاسِي كَانَتْ لَا تَزَالُ مُتَسَخِّةً . وَكَانَتْ فُرْصَتِي لِلتَّنَكُّرِ لَا تَزَالُ قَائِمَةً ، فَبَدَأْتُ أَقْصُ عَلَيْهِ حِكَايَةَ اخْتِرَعْتُهَا .

سَأَلَتْهُ : « لِمَ إِذَا أَنْقَذْتَنِي مِنْ أَيْدِي رِجَالِ الشُّرْطَةِ ؟ أَنَا لَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ فِي سَرَقَةِ النُّقُودِ . لَقَدْ سَبَّيْتُ لِي الْكَثِيرَ مِنَ الْمَتَاعِبِ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَهَا . »

وَأَخْرَجْتُ أَرْبَعَةَ جَنِيَهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ مِنْ جَيْبِي ، وَالْقَيْتُهَا عَلَى مَكْتَبِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ قَائِلًا : « خُذِ النُّقُودَ ، وَدَعْنِي أَنْصَرِفُ . »

قَالَ : « لَا ، يَا سَيِّدَ هُنَاي ! لَنْ أَتْرَكَكَ تَنْصَرِفُ . إِنَّكَ تَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِمَّا يَجْعَلُنِي لَا أَسْمَحُ لَكَ بِذَلِكَ . إِنَّكَ تَتَّقِنُ التَّمْثِيلَ ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ خِدَاعِي . »

وَأَصَابَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيمَا إِذَا كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنِّي أَمْ لَا ، وَلَكِنِّي لَمَحْتُ لِلْحَظَةِ خَاطِفَةً ظِلًّا مِنَ الشُّكِّ فِي عَيْنَيْهِ .

قُلْتُ : « أَنَا لَا أَوَدُّ خِدَاعَكَ ، فَلِمَ إِذَا لَا تُصَدِّقُنِي ؟ لَقَدْ سَرَفْتُ
تِلْكَ النُّقُودَ لِأَنِّي كُنْتُ جَائِعًا . وَقَدْ تَرَكَ الرَّجُلَانِ السَّيَّارَةَ وَأَنْصَرَفَا
بَعْدَ وَقُوعِ الْحَادِثِ ، فَزَلْتُ إِلَى الضُّفَّةِ وَعَثَرْتُ عَلَى النُّقُودِ فِي
أَرْضِيَّةِ السَّيَّارَةِ . وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ وَالشَّرْطَةُ تُطَارِدُنِي ، وَأَنَا مُتَعَبٌ
جِدًّا . »

وَبَدَا الشُّكُّ وَاضِحًا عَلَى الرَّجُلِ الْعَجُوزِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَرْتَابُ
فِيَّ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَتَقَابَلْ مِنْ قَبْلِ قَطُّ ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ حَرِيصًا .

قَالَ : « إِحْكْ لِي عَنْ مُغَامِرَاتِكَ ، وَمَاذَا حَدَّثَ لَكَ أُمْس ؟ »

قُلْتُ : « لَا أَسْتَطِيعُ ؛ فَإِنَّا لَمْ أَكُلْ مِنْذُ يَوْمَيْنِ . قَدِمَ لِي طَعَامًا
أَوَّلًا ، وَسَاحَكِي لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّ شَيْءٍ . »

وَأَشَارَ إِلَى أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ ، فَأَحْضَرَ لِي شَرِيحَةً مِنَ اللَّحْمِ الْبَارِدِ ،
وَكُوبًا مِنَ اللَّبَنِ . وَفَجْأَةً وَبَيْنَمَا أَنَا مِنْهُمْ فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ تَحَدَّثَ
إِلَيَّ الرَّجُلُ بِاللُّغَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ ، وَكَانَتْ خُدْعَةً بِالطَّبْعِ ؛ لِذَا لَمْ أَهْتَمُّ
أَوْ أَرُدَّ عَلَيْهِ .

وَعِنْدَمَا فَرَعْتُ مِنْ تَنَاوُلِ طَعَامِي ، بَدَأْتُ حِكَايَتِي ثَانِيَةً ، فَقُلْتُ :
« إِنِّي مِنْ لَيْثٍ وَكُنْتُ فِي طَرِيقِي لِبِزَارَةِ أَخِي فِي وَيْغَتَاوَن . وَلَمْ

أَسَافِرُ بِالْقِطَارِ لِقِلَّةِ النُّقُودِ مَعِي . وَفِي طَرِيقِي رَأَيْتُ حَادِثَةً ؛ فَقَدْ
انْدَفَعَتْ سَيَّارَةٌ مِنْ عَلَى الطَّرِيقِ وَسَقَطَتْ فِي وَادٍ صَغِيرٍ .

« وَقَدْ قَفَزَ رَجُلٌ مِنَ السَّيَّارَةِ قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ
رَجُلٌ آخَرٌ . وَتَحَدَّثَا قَلِيلًا ثُمَّ أَنْصَرَفَا مَعًا . وَأَتَّجَهْتُ إِلَى السَّيَّارَةِ ،
وَكَانَتْ مُحَطَّمَةً تَمَامًا ، وَوَجَدْتُ أَرْبَعَةَ جَنِيَهَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ ،
فَوَضَعْتُهَا فِي جَيْبِي وَلَذْتُ بِالْفِرَارِ . »

« وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَتَجَرٍّ فِي أَقْرَبِ قَرْيَةٍ ، وَحَاوَلْتُ شِرَاءَ شَيْءٍ مِنَ
الطَّعَامِ . وَعِنْدَمَا أُعْطِيتُ صَاحِبَةَ الْمَتَجَرِّ جَنِيَهَا ذَهَبِيًّا ارْتَابَتْ فِيَّ
وَأَسْتَدْعَتْ رَجُلَ الشَّرْطَةِ ؛ فَاسْتَطَعْتُ الْهَرَبَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ مَزَّقَ مِعْطَفِي
تَمَامًا . »

وَصَبَحْتُ : « لَا بَأْسَ . بِمَقْدُورِهِمْ أَنْ يَسْتَرِدُّوا النُّقُودَ ؛ فَالْفَقِيرُ
لَا تَتَّحُ لَهُ فُرْصَةٌ أَبَدًا . »

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « هَذِهِ قِصَّةٌ جَيِّدَةٌ يَا هَنَّا ، لَكِنِّي
لَا أَصَدِّقُهَا ! » ثُمَّ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ عَلَى مَقْعَدِهِ وَبَدَأَ يَفْرُكُ أُذُنَهُ الْيُمْنَى .

صَبَحْتُ قَائِلًا : « هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ . إِنَّ اسْمِي آيْنِسْلِي ، وَلَيْسَ
هَنَّا . وَحَتَّى رِجَالُ الشَّرْطَةِ هَؤُلَاءِ عَرَفُونِي وَكَانُوا يُنَادُونَنِي بِاسْمِي
مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ التِّلِّ . »

وَأَخَذَتْ أَنْطَلَعُ إِلَى عَيْنَيْهِ الْبَرَاقَتَيْنِ وَصَلَعَتْهُ الَّتِي تَوَاجَهْنِي .
وَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ شُكُوكَهُ تَتَزَايَدُ ، فَهُوَ لَمْ يَرِ وَجْهِي عَلَى الْإِطْلَاقِ ،
وَوَجْهِي الْآنَ مَخْتَلِفٌ بِالطَّبْعِ عَنْ صُورِي ، وَكَانَتْ مَلَابِيسِي قَدِيمَةً
جِدًا وَقَدِيرَةً .

وَفِي النِّهَايَةِ قَالَ : « سَيَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ الْبَقَاءُ هُنَا ؛ فَلَوْ أَنَّكَ لَسْتَ
رِيثَارْدَ هَنَآيَ ، فَسَوْفَ تَكُونُ فِي أَمَانٍ . أَمَّا إِذَا كُنْتَ هَنَآيَ
فَسَاقُتْلُكَ بِنَفْسِي . وَسَوْفَ أَكْتَشِفُ الْحَقِيقَةَ فِي الْحَالِ . » وَدَقَّ
جَرَسًا فَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ .

قَالَ لَهُ : « أَحْضِرِ السَّيَّارَةَ ، وَسَيَكُونُ لَدَيْنَا ثَلَاثَةٌ عَلَى الْعِشَاءِ . »

وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُنِي بِعِنَايَةٍ شَدِيدَةٍ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَكَانَ فِي عَيْنَيْهِ شَيْءٌ
مُرْعَبٌ تَمَامًا . كَانَتْ عَيْنَاهُ جَامِدَتَيْنِ وَقَاسِيَتَيْنِ مِثْلَ عَيْنِي الْأَفْعَى .

وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَحُولَ بَصَرِي عَنْهُمَا ؛ فَقَدْ أَصَابَتَانِي بِالضَّعْفِ ،
مِثْلَ الطُّفْلِ ، وَشَعَرْتُ بِرَغْبَةٍ فِي أَنْ أَزْحَفَ إِلَيْهِ . لَقَدْ كَانَ أَلَدُ أَعْدَاءِ
اسْكُدَر ، وَمَعَ هَذَا مَا كُنْتُ لَأَرْفُضَ لَهُ طَلَبًا لَوْ سَأَلَنِي !

كَانَ لَا يَزَالُ يَفَرِّكُ أَدْنَاهُ الْيَمْنَى ، ثُمَّ تَحَدَّثَ بِالْأَلْمَانِيَّةِ إِلَى أَحَدِ
رِجَالِهِ . وَعِنْدَمَا سَمِعْتُ كَلِمَاتِهِ ، زَايَلَتْنِي أَفْكَارِي الْغَرِيبَةُ .

قَالَ : « كَارْلُ ، خُذْ هَذَا الشَّخْصَ إِلَى حُجْرَةِ الْمَخْزَنِ ، وَلَا تَدَعُهُ
يَهْرَبُ . تَذَكَّرْ ذَلِكَ . »

كَانَتْ حُجْرَةُ الْمَخْزَنِ مُظْلِمَةً تَمَامًا . وَلَمْ يَدْخُلِ الرَّجُلَانِ مَعِي ،
بَلْ جَلَسَا بِالْخَارِجِ ، حَيْثُ كُنْتُ أَسْمَعُهُمَا . وَطُفْتُ بِمُحَاذَاةِ
جُدْرَانِ الْحُجْرَةِ فَتَحَسَّسْتُ عِدَّةَ صِنَادِيقَ وَبِرَامِيلَ ، ثُمَّ جَلَسْتُ فَوْقَ
أَحَدِ الصِّنَادِيقِ ، وَأَخَذْتُ أَفَكِّرُ فِي الْمَآزِقِ الَّذِي أَنَا فِيهِ .

سَوْفَ يَعُودُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ وَأَعْوَانُهُ وَيَتَعَرَّفُونَ عَلَيَّ . وَسَيَتَذَكَّرُونَ
عَامِلَ الطَّرِيقِ لِأَنَّنِي لَا أَزَالُ أُرْتَدِي مَلَابِيسَ تِيرَنْبِلَ . وَأَسْتَطِيعُ أَنْ
أُخَمِّنَ أَسْئَلَتَهُمْ : لِمَاذَا كَانَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ يَبْتَخِنُونَ عَنْ عَامِلِ طَرِيقٍ ؟
لِمَاذَا يَتَوَاجَدُ هَذَا الْعَامِلُ بَعِيدًا عَنْ مَكَانِ عَمَلِهِ بِثَلَاثِينَ كِيلُومِتْرًا ؟
وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَذَكَّرُوا مَارْمَادِيوكَ جُونَلِي ، وَكَذَلِكَ سِيرَ هَارِي .
وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ مُوَاصَلَةَ خِدَاعِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ الْغُرَبَاءِ ، وَقَدْ أَبْقَى
مَعَهُمْ وَحْدِي هُنَا ؛ فَقَرَّرْتُ فِي الْهَرَبِ لَيْسَتْ مَوَاتِيَّةً .

وَفَجْأَةً تَمَلَّكَنِي غَضَبٌ شَدِيدٌ وَكَرِهْتُ هَؤُلَاءِ الْجَوَاسِيسَ الْأَلْمَانَ
الْمَوْجُودِينَ فِي بَرِيطَانِيَا . إِنَّنِي لَنْ أَجْلِسَ هَكَذَا فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ
لَا أَفْعَلُ شَيْئًا . يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَهَاجِمَهُمْ أَوْ أَحَاوِلَ الْهَرَبَ .

وَنَهَضْتُ وَمَشَيْتُ فِي أَنْحَاءِ الْحُجْرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً . وَكَانَتْ الصِّنَادِيقُ

وَالْبَرَامِيلُ مُقْفَلَةٌ بِأَحْكَامٍ لِدَرَجَةٍ يَصْنَعُ عَلَيَّ فَتَحُهَا ، وَلَكِنِّي
وَصَلْتُ إِلَى دَوْلَابٍ فِي الْحَائِطِ ، وَكَانَ مُغْلَقًا تَقْرِيْبًا إِذْ إِنِّي لَمْ
أَسْتَطِعْ فَتَحَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ بِهِ شَقٌّ فِي بَابِهِ ، فَدَفَعْتُ بِأَصْبَعِي دَاخِلَ
الشَّقِّ وَجَذَبْتُهُ بِقُوَّةٍ ، فَأَنْفَتَحَ بَابُ الدَّوْلَابِ .

كَانَتْ بِدَاخِلِهِ أَشْيَاءُ غَرِيبَةً ، أَوَّلُهَا سِتَّةٌ مِنَ الْمَصَابِيحِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ ،
وَكَانَتْ فِي حَالَةٍ جَيِّدَةٍ ، فَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَضِيءَ بِهَا الْمَكَانَ حَوْلَ
الدَّوْلَابِ .

وَكَانَتْ بِدَاخِلِهِ أَيْضًا زُجَاجَاتٌ وَصَنَادِيقٌ صَغِيرَةٌ ، وَبَعْضُ
الْأَكْيَاسِ الصَّفْرَاءِ الْمُتْرَبَةِ . وَعَثَرْتُ عَلَى صُنْدُوقٍ بِهِ مَفْجَرَاتٌ ذَاتُ
فَتَائِلَ طَوِيلَةٍ ، فَأَخْرَجْتُهَا وَوَضَعْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ بِحِرْصٍ . وَوَجَدْتُ
فِي آخِرِ الدَّوْلَابِ صُنْدُوقًا مَتِينًا ، ظَنَنْتُ فِي الْبِدَايَةِ أَنَّهُ مُغْلَقٌ ، وَلَكِنَّهُ
انْفَتَحَ بِسُهُولَةٍ ، وَكَانَ مَلِيئًا بِأَصَابِعِ الدِّيْنَامِيْتِ .

وَكَانَ بِمَقْدُورِي أَنْ أَدْمَرَ الْبَيْتَ بِهَذَا الدِّيْنَامِيْتِ ، فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُهُ
فِي رُودِيْسِيَا كَثِيرًا وَأَعْلَمْتُ مَدَى قُوَّتِهِ ، وَلَكِنْ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يُدْمَرَ نِي
كَذَلِكَ ! وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ فُرْصَتِي الْوَحِيدَةُ ؛ لِذَا قَرَّرْتُ انْتِهَازَهَا .

وَوَجَدْتُ شَقًّا فِي الْأَرْضِ قُرْبَ الْبَابِ الْخَارِجِيِّ ، فَدَفَعْتُ بِأَصْبَعِ
دِيْنَامِيْتِ فِي هَذَا الشَّقِّ ، وَوَصَلْتُهُ بِمَفْجَرٍ وَقَتِيلٍ ، ثُمَّ حَرَكْتُ أَحَدَ

الصَّنَادِيقِ ، وَوَضَعْتُهُ فَوْقَ الشَّقِّ .

وَجَلَسْتُ بِجِوَارِ الدَّوْلَابِ وَأَشْعَلْتُ الْفَتِيلَ ، وَأَخَذْتُ أَرَاقِبَ النَّارِ
وَهِيَ تَسْرِي فِي الْفَتِيلِ . وَكَانَ الرَّجُلَانِ لَا يَزَالَانِ يَتَكَلَّمَانِ بِهَدْوٍ
خَارِجِ الْبَابِ . وَقَجَآةً وَقَعَ انفِجَارٌ رَهِيبٌ ، وَأَنْدَفَعَتْ مِنَ الْأَرْضِ
حَرَارَةٌ وَهَجٌ فَظِيْعٌ . وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ لِعِدَّةٍ ثَوَانٍ ، أَعْقَبَتْهُ سَحْبٌ مِنَ
الْثَّرَابِ غَطَّتِ الْمَكَانَ كُلَّهُ ، وَمَلَأَ الْحُجْرَةَ أَيْضًا دُخَانًا أَصْفَرَ كَثِيفًا
جَعَلَنِي عَاجِزًا فِي الْبِدَايَةِ عَنْ رُؤْيَةِ أَيِّ شَيْءٍ . وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ مَلَأَ
الْحُجْرَةَ الضَّوُّ ؛ إِذْ ظَهَرَتْ فَتْحَةٌ كَبِيرَةٌ فِي الْجِدَارِ ، فَأَنْدَفَعَتْ
نَاحِيَّتُهَا . وَكَانَ الْهَوَاءُ بِالْخَارِجِ مَلِيئًا أَيْضًا بِالدُّخَانِ وَالثَّرَابِ ،
وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْمَعَ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ .

وَتَسَلَّلْتُ مِنَ الْفَتْحَةِ ، وَأَنْدَفَعْتُ مُنْطَلِقًا ، وَأَلْفَيْتُ نَفْسِي فِي فِنَاءِ
الْمَزْرَعَةِ خَلْفَ الْبَيْتِ . وَعَلَى بُعْدِ ثَلَاثِينَ مِثْرًا تَقْرِيْبًا كَانَ ثَمَّةُ بُرْجٍ
حِمَامٍ مَبْنِيٍّ مِنَ الْحَجَرِ ، لَيْسَتْ لَهُ أَبْوَابٌ أَوْ نَوَافِذُ ، وَإِنَّمَا عِدَّةُ
فُتُوحَاتٍ لِلطُّيُورِ ، وَقِمَّتُهُ مُسَطَّحَةٌ .

وَفَكَّرْتُ لَوْ أَنَّنِي اسْتَطَعْتُ الْوُصُولَ إِلَى سَطْحِ الْبُرْجِ ، لَكُنْتُ فِي
مَآْمَنٍ ، لِأَنَّهُمْ لَنْ يَبْحَثُوا عَنِّي هُنَاكَ .

وَجَرَيْتُ وَسَطَ الدُّخَانِ إِلَى خَلْفِ الْبُرْجِ ، وَبَدَأْتُ أَسْلُقُهُ . وَكَانَ

ذَلِكَ أَمْرًا صَعْبًا ، لَكِنِّي واصلْتُ التَّسْلُقَ بِطَءٍ شَدِيدٍ . وَفِي النِّهَايَةِ
بَلَغْتُ قِمَّةَ الْبُرْجِ ، وَتَمَدَّدْتُ خَلْفَ السُّورِ الْمُنْخَفِضِ لِسَطْحِ الْبُرْجِ .

لَقَدْ أَصَابَنِي الدُّخَانُ وَالتُّرَابُ بِالِاخْتِنَاقِ ، وَأَحْسَسْتُ بِالتَّعَبِ
الشَّدِيدِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمِنًا هُنَاكَ . وَسَرَّعَانَ مَا اسْتَغْرَقْتُ فِي النَّوْمِ .

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كَانَتْ شَمْسُ بَعْدِ الظُّهْرِ قَوِيَّةً جَدًّا . وَكَانَ
بِمَكَانِي سَمَاعُ أَصْوَاتِ الرُّجَالِ وَصَوْتِ سَيَّارَةٍ . وَرَفَعْتُ رَأْسِي قَلِيلًا
وَأَظْلَلْتُ مِنْ قَوْقِ السُّورِ .

كَانَ ثَمَّةُ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ أَوْ خَمْسَةٍ يَمْشُونَ فِي فِنَاءِ الْمَزْرَعَةِ نَاحِيَةَ
الْمَنْزِلِ ، وَكَانَ مَعَهُمُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ ، وَقَدْ بَدَأَ وَاضِحًا أَنَّهُ حَانَقٌ
لِلْغَايَةِ . وَأَشَارَ عَبْرَ الْحُقُولِ وَقَالَ شَيْئًا بِالْأَلْمَانِيَّةِ إِلَى خَدَمِهِ . وَكَانَ
مِنْ بَيْنِهِمُ الرَّجُلَانِ النُّحِيفُ وَالْبَدِينُ .

وَبَقِيْتُ مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ سَطْحِ بُرْجِ الْحَمَّامِ طِيلَةَ فَتْرَةٍ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ ،
وَكَنْتُ ظَمْآنٌ لِلْغَايَةِ . وَكَانَ ثَمَّةُ جَدُولٍ مَاءٍ صَغِيرٍ بِجَوَارِ الْمَزْرَعَةِ ،
وَكَنْتُ أَسْتَطِيعُ سَمَاعَ خَرِيرِ الْمَاءِ فِيهِ . وَتَحَسَّسْتُ النُّقُودَ فِي جَيْبِي ،
وَكَنْتُ مُسْتَعِدًّا لِأَنِّ أَدْفَعَ أَرْبَعِينَ جَنْيَهَا مُقَابِلَ كُوبٍ مِنَ الْمَاءِ ، لَوْ
سَحَّحَتِ الْفُرْصَةُ .



وَأَنْطَلَقَ رَجُلَانِ بِالسَّيَّارَةِ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ أَنْطَلَقَ رَجُلٌ آخَرُ فَوْقَ
حِصَانٍ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ . وَبَدَأَ الْبَحْثُ عَنِّي ، وَلَكِنَّهُمْ جَمِيعًا اتَّجَهُوا
الْإِتِّجَاهَ الْخَاطِئَ .

وَجَلَسْتُ فَوْقَ السَّطْحِ وَتَطَلَّعْتُ حَوْلِي . فَلَمْ أَرْ شَيْئًا - فِي
الْبِدَايَةِ - يُثِيرُ الْإِهْتِمَامَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ أَشْجَارًا فِي شَكْلِ دَائِرَةٍ كَبِيرَةٍ
تَبْعُدُ عَنِ الْمَنْزِلِ كِيلُو مِثْرًا ، وَكَانَ بِدَاخِلِهَا مِسَاحَةٌ مُسَطَّحَةٌ
خَضِرَاءُ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « مِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَطَارًا . إِنَّهُ لِمَكَانٌ
رَائِعٌ لِمَطَارٍ سَرِيٍّ ؛ إِذْ يُمَكِّنُ أَنْ تَهْبِطَ فِيهِ طَائِرَةٌ صَغِيرَةٌ دُونَ أَنْ
يَرَاهَا أَحَدٌ ؛ فَالْمَكَانُ مُخْتَفٍ تَمَامًا بِالنِّسْبَةِ لِمُسْتَوَى الْأَرْضِ . فَأَيُّ
إِنْسَانٍ سَوْفَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الطَّائِرَةَ قَدْ حَلَقَتْ فَوْقَ التِّلِّ ، وَلَكِنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا
هَبَطَتْ بَيْنَ الْأَشْجَارِ . »

بَعْدَ ذَلِكَ لَاحَظْتُ وَجُودَ خَطٍّ أَزْرَقٍ بَعِيدٍ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ ، وَكَانَ
الْبَحْرُ . وَهَكَذَا فَإِنَّ أَعْدَاءَنَا كَانُوا لَدَيْهِمْ هَذَا الْمَطَارَ السَّرِيَّ فِي
اسْتِكْنَانِدَا . وَكَانَ بِإِمْكَانِهِمْ مُرَاقَبَةَ سَفِينِنَا كُلِّ يَوْمٍ . وَقَدْ أَحْنَقْتَنِي تِلْكَ
الْفِكْرَةُ تَمَامًا ، وَجَعَلْتَنِي عَصِيْبًا أَيْضًا .

لَوْ أَنَّ الطَّائِرَةَ عَادَتْ ، فَسَوْفَ يَتِمَكَّنُ قَائِدُهَا مِنْ رُؤْيِي بِسَهُولَةٍ ،

إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِي أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى حُلُولِ الظَّلَامِ .
وَتَمَدَّدْتُ وَانْتَهَظْتُ فَوْقَ سَطْحِ بُرْجِ الْحَمَامِ . وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ
الْسَّادِسَةِ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِلَالِ الْفُتْحَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي حُجْرَةِ الْمَخْزَنِ ،
وَسَارَ بِطَرَفِ نَاحِيَةِ بُرْجِ الْحَمَامِ . وَأَحْسَسْتُ - لِلْحُظَّةِ - بِرُعْبٍ
شَدِيدٍ ، وَلَكِنَّنَا سَمِعْنَا مَعًا صَوْتَ الطَّائِرَةِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ ، فَعَادَ
الرَّجُلُ أَذْرَاجَهُ سَرِيعًا إِلَى حُجْرَةِ الْمَخْزَنِ .

وَلَمْ تُحَلِّقِ الطَّائِرَةُ فَوْقَ الْبَيْتِ ، وَسَعِدْتُ لِذَلِكَ ، لَكِنَّهَا حَوَّمَتْ
حَوْلَ الْأَشْجَارِ ثُمَّ هَبَطَتْ . وَسَطَعَتْ بَعْضُ الْأَضْوَاءِ لِحُظَّةٍ ، وَبَعْدَ
عَشْرِ دَقَائِقَ سَمِعْتُ أَصْوَاتًا ، ثُمَّ سَادَ الْهُدُوءُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ
الظَّلَامُ يُخَيِّمُ عَلَى الْمَكَانِ .

انْتَهَظْتُ حَتَّى التَّاسِعَةِ تَقْرِيْبًا ، وَنَزَلْتُ مِنْ أَعْلَى الْبُرْجِ وَبَلَغْتُ
الْأَرْضَ بِسَلَامٍ ، وَزَحَفْتُ عَلَى يَدَيَّ وَرَكَبَتَيَّ بَعِيدًا عَنِ الْبُرْجِ .
وَتَوَجَّهْتُ أَوَّلَ مَا تَوَجَّهْتُ إِلَى جَدُولِ الْمِيَاهِ ، فَانْبَطَحْتُ وَشَرِبْتُ مِنْ
الْمِيَاهِ الْبَارِدَةِ . بَعْدَهَا بَدَأْتُ أَجْرِي لِأَتَبَعِدَ عَنِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الرَّهِيْبِ
بِقَدْرِ مَا أَسْتَطِيعُ .

ثلاثين كيلو متراً ، وهي مسافة طويلة لكي أقطعها مرة واحدة قبل
طلوع الشمس ؛ لذا فقد قرّرت أن أختبئ نهاراً وأسافر ليلاً فقط .

وعندما أشرقَت الشمسُ كنتُ بجوار النهر ، فاغتسلتُ في المياه
الباردة ؛ لأنني جدٌ متسخ . وتمزق قميصي وبنطلوني ، وكنتُ
أخشى أن أقابل أحداً وأنا في هذه الحالة . وبعدَ النهرِ بقليلٍ كانَ
ثمة بيتٌ صغيرٌ . ولما كنتُ جائعاً جداً ؛ فقد قرّرتُ أن أتوقّف
عنده .

وكانَ صاحبُ البيتِ غيّرَ موجودٍ . وفي البداية ارتابتُ زوجته
في ؛ فالتقطتُ قاساً وأبدتُ استعداداً تاماً لمهاجمتي .

قلتُ لها : « لقد سقطتُ سقطةً شديدة من فوق التلّ ، وأشعرُ
بأنني مريضٌ ، فهلّا ساعدتني ؟ »

ولم تُوجه لي أيّ سؤالٍ ، ولكنّها دعّنتني للدخول إلى البيت .
وقدّمتُ لي كوباً من اللبن وبعضَ الخبز والجبن ، ثمّ جلستُ بجوار
المدفأة في مطبخها وتحدّثنا . وقدّمتُ لها جنيهاً ذهبياً تعويضاً عن
تعبيها ، لكنّها رفضته في البداية .

قالتُ : « إذا لم تكنُ نقودك ، فأنا لا أريدها . »

الفصل السابع

صياد السمك

الآن أصبحتُ طليقاً ، ولكنني كنتُ أشعرُ بالإعياء بسببِ رائحة
دخان الديناميت التي كانت تملأ أنفي . وبعدَ ساعةٍ كان عليّ أن
أستريح .

كانت الساعة الحادية عشرة تقريباً عندما وصلتُ آمناً إلى
الطريق . وأردتُ أن أعود ثانية إلى بيت تيرنبل ؛ فقد كان معطفي
هناك وبداخل أحد جيوبه مفكرة اسكدر ، وكان من الضروري أن
أحصل عليها . وكانت خطّتي أن أعثر على السكّة الحديدية ،
وأسافر إلى الجنوب ، وبعد ذلك أذهب مباشرة إلى أرتنزول لمقابلة
سير ولتر بوليفانت .

كانت ليلة جميلة . وكنتُ أعرفُ أن بيت تيرنبل يبعدُ حوالى

ثَارَ غَضَبِي وَقُلْتُ : « لَكِنَّهَا تُقَوِّدِي . أَتَظُنِّينَ أَنِّي سَرَقْتُهَا ؟ »

عِنْدَئِذٍ قَبِلْتُهُ ، ثُمَّ فَتَحْتُ دَوْلَابًا فِي الْحَائِطِ ، وَأَخْرَجْتُ سِتْرَةَ اسْكُوتْلَنْدِيَّةٍ ثَقِيلَةً وَأَعْطَيْتَنِي إِيَّاهَا ، وَكَذَلِكَ إِحْدَى قُبُعَاتِ زَوْجِهَا . وَعِنْدَمَا غَادَرْتُ الْبَيْتَ كُنْتُ أَشْبَهُ بِرَجُلٍ اسْكُوتْلَنْدِيٍّ تَمَامًا !

وَسِرْتُ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ تَبَدَّلَ الْجَوُّ وَبَدَأَتْ تُمَطِّرُ . وَلَكِنِّي بَقِيتُ أَشْعُرُ بِالْدَّفءِ وَلَمْ أَتَّيَلَّ بِفَضْلِ السِتْرَةِ الاسْكُوتْلَنْدِيَّةِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ وَصَلْتُ إِلَى صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ مُعَلَّقَةٍ فَوْقَ مَنَاطِقَةٍ مُنْخَفِضَةٍ . وَكَانَ الْعُشْبُ تَحْتَ الصَّخْرَةِ جَافًا ، فَاسْتَلَقَيْتُ عَلَيْهِ وَنَمْتُ طَوَالَ النَّهَارِ .

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَلَّ تَقْرِيْبًا ، وَكَانَ الْجَوُّ لَا يَزَالُ مُمَطِّرًا وَبَارِدًا ، وَلَمْ أَكُنْ مُتَاكِدًا مِنَ الطَّرِيقِ . وَقَدْ أَخْطَأْتُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنِّي سِرْتُ مَسَافَةً ثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا ، غَيْرَ أَنِّي فِي السَّادِسَةِ صَبَاحًا وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِ تِيرْنَبُلِ .

وَفَتَحَ تِيرْنَبُلُ الْبَابَ بِنَفْسِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفَ عَلَيَّ ، وَسَأَلَنِي : « مَنْ أَنْتَ ؟ لِمَاذَا جِئْتَ إِلَى هُنَا صَبَاحَ يَوْمِ الْأَحَدِ ؟ إِنَّنِي أَتَاهَبُ لِلْخُرُوجِ . »

وَكُنْتُ قَدْ نَسِيتُ أَيَّامَ الْأَسْبُوعِ ؛ فَكُلُّ يَوْمٍ كَانَ يُشْبِهُ الْآخَرَ

بِالنِّسْبَةِ لِي . وَشَعَرْتُ بِالْإِعْيَاءِ الشَّدِيدِ حَتَّى إِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أَجِيبَهُ ، وَلَكِنَّهُ تَعَرَّفَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ .

سَأَلَنِي : « هَلْ مَعَكَ نَظَارَتِي ؟ » فَأَخْرَجْتُهَا مِنْ جَيْبِي وَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا .

قَالَ : « إِنَّكَ عَدْتِ بِالطَّبِيعِ لِتَأْخُذَ مِعْطَفَكَ . ادْخُلِي يَا رَجُلٌ ، فَأَنْتِ تَبْدُو مَرِيضًا جِدًّا . اِنْتَظِرِي ، سَأَحْضِرُ لَكَ مَقْعَدًا . »

وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَصَابُ بِالْمَلَارِيَا وَأَنَا فِي رُودِيْسِيَا ، وَيَبْدُو أَنَّهُ لَا تَزَالُ عَالِقَةً بِجِسْمِي ، فَأَنَا أَعْرِفُ أَعْرَاضَهَا تَمَامًا ، وَقَدْ عَاوَدْتَنِي بِسَبَبِ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ . وَفِي الْحَالِ خَلَعَ عَنِّي تِيرْنَبُلُ مَلَابِسِي وَقَادَنِي إِلَى الْفِرَاشِ .

وَبَقِيتُ عِنْدَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ قَامَ خِلَالَهَا بِرِعَايَتِي رِعَايَةً تَامَةً . وَلَا زَمَتْنِي الْمَلَارِيَا سِتَّةَ أَيَّامٍ ، عَادَتْ بَعْدَهَا الْحَرَارَةُ الطَّبِيعِيَّةُ إِلَى جِسْمِي وَشَفِيتُ .

وَكَانَ تِيرْنَبُلُ يَذْهَبُ لِلْعَمَلِ صَبَاحًا وَيَعُودُ مَسَاءً ، عَلَى حِينِ كُنْتُ أَخْلُدُ أَنَا لِلرَّاحَةِ طَوَالَ الْيَوْمِ . وَكَانَتْ لَدَيْهِ بَقَرَةٌ تُدِيرُ لَنَا اللَّبَنَ ، وَدَائِمًا مَا كَانَ يَوْجَدُ طَعَامًا بِالْبَيْتِ .

وَذَاتَ مَسَاءٍ قُلْتُ لَهُ : « ثَمَّةَ مَطَارٍ صَغِيرٍ عَلَى بَعْدِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ
كِيلُو مِتْرًا مِنْ هُنَا . أَلَمْ يَسْبِقْ لَكَ أَنْ رَأَيْتَهُ ؟ وَتَهَيَّأْ فِيهِ أَحْيَانًا
طَائِرَةٌ صَغِيرَةٌ . هَلْ تَعْلَمُ مَنْ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ ؟ »

قَالَ : « لَا أَعْرِفُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ الطَّائِرَةَ بِالطَّبْعِ ، وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ
شَيْئًا عَنْهَا . »

وَكَانَ يُحْضِرُ لِي بَعْضَ الصُّحُفِ أَثْنَاءَ إِقَامَتِي مَعَهُ ، فَكُنْتُ أَقْرَأُهَا
بَاهْتِمَامٍ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا شَيْئًا بِخُصُوصِ جَرِيمَةِ لَنْدُن .

وَلَمْ يَسْأَلْنِي تِيرْنِبُلُ آيَةَ أَسْئَلَةٍ ، وَلَا حَتَّى عَنْ اسْمِي ، وَقَدْ
أَدْهَشَنِي ذَلِكَ ، حَتَّى إِنَّنِي سَأَلْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ : « هَلْ سَأَلَكَ أَحَدٌ
عَنِّي ؟ »

أَجَابَنِي : « ذَاتَ يَوْمٍ تَوَقَّفَ رَجُلٌ يَرْكَبُ سَيَّارَةً وَسَأَلَنِي عَنْ عَامِلِ
الطَّرِيقِ الْآخَرِ ، الَّذِي هُوَ أَنْتَ بِالطَّبْعِ ، وَكَانَ يَبْدُو شَخْصًا غَرِيبًا حَتَّى
إِنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ أَيُّ شَيْءٍ . »

وَعِنْدَمَا غَادَرْتُ الْبَيْتَ ، أُعْطِيتُ تِيرْنِبُلُ خَمْسَةَ جَنِيَهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ .
وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي اخْتِذِ النُّقُودِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ
وَعَظِيبَ مِنِّي لِدَرَجَةِ شَدِيدَةٍ . وَلَكِنَّهُ أَخَذَ النُّقُودَ فِي النِّهَايَةِ ، وَقَالَ :

« أَنَا لَا أُرِيدُ نُقُودًا ، فَعِنْدَمَا كُنْتُ أَنَا مَرِيضًا ، سَاعَدْتَنِي . وَالْآنَ
أَصْبَحْتَ أَنْتَ مَرِيضًا ، وَقَدْ سَاعَدْتِكَ وَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ كُلُّ تِلْكَ
النُّقُودِ . »

وَكَانَ الْجَوُّ جَمِيلًا فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ ، وَلَكِنِّي بَدَأْتُ أَشْعُرُ
بِعَصَبِيَّةٍ وَتَوَثُّرٍ . فَقَدْ كَانَ الْيَوْمُ هُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ يُونِيهِ (حَزِيرَانِ)
وَيَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أَنْهِيَ مُهِمَّةَ اسْكَدِرْ قَبْلَ الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ
يُونِيهِ . وَتَنَاوَلْتُ الْغَدَاءَ بِفُنْدُقٍ هَادِيٍّ بِبَلَدَةِ مَوْفَاتِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَى
مَحْطَةِ السُّكِّكِ الْحَدِيدِيَّةِ . وَكَانَتِ السَّاعَةُ السَّابِعَةُ مَسَاءً .

سَأَلْتُ : « مَا مِيعَادُ الْقِطَارِ الْمُتَّجِهِ إِلَى لَنْدُن ؟ »

أَجَابَنِي مُوَظَّفُ السُّكِّكِ الْحَدِيدِيَّةِ : « الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ إِلَّا عَشَرَ
دَقَائِقٍ . »

وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَنْظَرَ وَقْتًا طَوِيلًا ؛ لِذَا غَادَرْتُ الْمَحْطَةَ ، وَوَجَدْتُ
مَكَانًا هَادِيًّا بِالقُرْبِ مِنْ قِمَّةِ تَلٍّ ، وَاسْتَلْقَيْتُ هُنَاكَ لِأَنَامَ . وَكُنْتُ
مُجْهِدًا لِلْغَايَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّنِي نِمْتُ حَتَّى الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ إِلَّا عِشْرِينَ دَقِيقَةً ،
فَجَرَيْتُ إِلَى الْمَحْطَةِ حَيْثُ كَانَ الْقِطَارُ مُنْتَظِرًا .

وَقَرَّرْتُ أَلَّا أَدْهَبَ إِلَى لَنْدُنَ ، فَزَلْتُ مِنَ الْقِطَارِ فِي بَلَدَةِ كَرُو

حَيْثُ انتَظَرْتُ مَدَّةَ سَاعَتَيْنِ . وَأَخَذَنِي الْقِطَارُ التَّالِي إِلَى بَرْمِنْغَام ،
وَوَصَلْتُ إِلَى رِيدِنغ فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مَسَاءً . وَأَمْضَيْتُ سَاعَتَيْنِ
فِي الْبَحْثِ عَنْ بَيْتِ السَّيِّدِ بُولِيْفَانْت فِي أَرْتَنزُول .

وَكَانَ نَهْرٌ كُنْتُ يَجْرِي بِمُحَاذَةِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ الْهَوَاءُ
الْإِنْجِلِيزِيُّ لَطِيفًا وَدَافِئًا ، وَيَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا تَامًا عَنْ هَوَاءِ اسْكُتِلَنْدَا .
وَوَقَفْتُ قَلِيلًا فَوْقَ أَحَدِ الْجُسُورِ الَّتِي تَعْبُرُ النَّهْرَ ، وَبَدَأْتُ أَغْنِي
أَغْنِيَّةَ « أَنِي لُورِي » بِصَوْتٍ خَفِيفٍ .

وَمِنْ أَسْفَلِ جِسْرِ النَّهْرِ صَعَدَ صَيَّادٌ سَمَكًا ، وَأَخَذَ يُغْنِي هُوَ أَيْضًا
أَغْنِيَّةَ « أَنِي لُورِي » وَهُوَ يَسِيرُ نَاحِيَّتِي .

وَكَانَ الصَّيَّادُ رَجُلًا ضَخْمًا يَرْتَدِي بَنْطَلُونًا رَمَادِيًّا قَدِيمًا ، وَيَضَعُ
عَلَى رَأْسِهِ قُبْعَةً كَبِيرَةً . وَنَظَرَ إِلَيَّ وَابْتَسَمَ ، فَاسْتَشْفَفْتُ فِي وَجْهِهِ
الْحِكْمَةَ وَالْأَمَانَةَ . وَأَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَطَلَّعُ مَعِيَ إِلَى الْمَاءِ .

قَالَ : « الْمِيَاهُ نَظِيفَةٌ وَصَافِيَّةٌ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ نَهْرٌ كُنْتُ نَهْرٌ
رَائِعٌ . أَنْظُرْ إِلَى تِلْكَ السَّمَكَةِ الضَّخْمَةِ هُنَاكَ . لَكِنَّ الشَّمْسَ غَرَبَتْ
الْآنَ . لَوْ حَاوَلْتُ طَوَالَ اللَّيْلِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ فَلَنْ تَظْفَرَ بِهِ . »

سَأَلْتُهُ : « أَتَيْنَ ؟ فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَاهُ . »

قَالَ : « أَنْظُرْ هُنَاكَ إِلَى أَسْفَلِ ، عَلَى بَعْدِ مِثْرٍ مِنْ تِلْكَ النَّبَاتَاتِ
الْمَائِيَّةِ . »

قُلْتُ : « آه ، نَعَمْ . أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَاهُ الْآنَ . إِنَّهُ مِثْلُ حَجَرٍ أَسْوَدَ
ضَخْمٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ : « بَلَى . » وَشَرَعَ يَرُدُّ بَعْضَ كَلِمَاتِ أَغْنِيَّةِ « أَنِي لُورِي » .
وَكَانَ لَا يَزَالُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ عِنْدَمَا سَأَلَنِي : « اسْمُكَ تَوْسَدَن ،
عَلَى مَا أَظُنُّ ؟ »

قُلْتُ : « لَا . » ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فَجَاءَتْ أَسْمَائِي الْأُخْرَى فَأَكْمَلْتُ
كَلَامِي بِسُرْعَةٍ قَائِلًا : « آه ، نَعَمْ ، ذَلِكَ صَحِيحٌ . » فَضَحِكَ وَقَالَ :
« الْجَاسُوسُ الْمَاهِرُ يَعْرِفُ اسْمَهُ . » وَكَانَ بَعْضُ الرِّجَالِ يَعْبرُونَ الْجِسْرَ
خَلْفَنَا ، فَرَفَعَ سِيرٌ وَلْتَرَ صَوْتَهُ قَائِلًا : « لَا ، لَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا . فَأَنْتَ
قَادِرٌ عَلَى الْعَمَلِ . يُمَكِّنُكَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى بَعْضِ الطَّعَامِ ، وَلَكِنِّي
لَنْ أُعْطِيكَ بِنَسًا وَاحِدًا . »

وَمَرَّ الرِّجَالُ ، وَابْتَعَدَ الصَّيَّادُ عَنِّي . وَأَشَارَ إِلَى بَوَابَةٍ بَيضاءَ عَلَى
بَعْدِ تِسْعِينَ مِثْرًا وَقَالَ : « هَذَا هُوَ مَنْزِلِي . انتَظِرْ خَمْسَ دَقَائِقَ ، ثُمَّ
دُرْ حَوْلَ الْمَنْزِلِ لِتَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ . »

عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، كَانَ الْبَابُ الْخَلْفِيُّ مَفْتُوحًا ، وَكَبِيرُ
خَدَمٍ سِيرَ وَلْتَرُ فِي أَنْتِظَارِي لِيُرْحَبَ بِي .

قَالَ : « تَفَضَّلْ مِنْ هُنَا يَا سَيِّدِي . » وَضَعَدَ بِي السَّلَامَ ، ثُمَّ
أَخَذَنِي إِلَى إِحْدَى حُجْرَاتِ النَّوْمِ ، وَكَانَ ثِمَّةً طَقْمٌ كَامِلٌ مِنَ
الْمَلَابِسِ عَلَى الْفِرَاشِ . وَلَفَتَتْ نَظْرِي بِذِلَّةٍ لِلْسَّهْرَةِ وَقَمِيصٌ أَيْضُ
نَظِيفٌ . وَكَانَ هُنَاكَ مَلَابِسُ أُخْرَى أَيْضًا ، وَعَدِيدٌ مِنَ الْأَحْدِيَةِ .

قَالَ كَبِيرُ الْخَدَمِ : « أَمَلُ أَنْ تُنَاسِبَكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ يَا سَيِّدِي .
وَالْحَمَامُ جَاهِزٌ فِي الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ . وَسَادَقُ جَرَسُ الْعِشَاءِ فِي
التَّاسِعَةِ يَا سَيِّدِي . »

وَبَعْدَ أَنْ أَنْصَرَفَ جَلَسْتُ ، وَاعْتَقَدْتُ أَنِّي أَحْلَمُ . فَبِالْأَمْسِ وَفِي
مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ كُنْتُ نَائِمًا فَوْقَ قِمَّةٍ تَلُّ بِاسْكُتْلَنْدَا . وَأَنَا الْآنَ فِي
هَذَا الْمَنْزِلِ الرَّائِعِ ، وَسِيرَ وَلْتَرُ لَا يَعْرِفُ حَتَّى اسْمِي .

وَاسْتَحَمَمْتُ ، ثُمَّ ارْتَدَيْتُ الْقَمِيصَ الْأَبْيَضَ وَزِيَّ السَّهْرَةِ .
وَكَانَتْ الْمَلَابِسُ كُلُّهَا تُنَاسِبُنِي . وَدَقَّ جَرَسُ الْعِشَاءِ ، فَنَزَلْتُ
لِمُقَابَلَةِ سِيرَ وَلْتَرِ .

قُلْتُ لَهُ : « أَنْتَ عَطُوفٌ جِدًّا يَا سَيِّدِي . وَيَجِبُ أَنْ أَقُولَ لَكَ

الْحَقِيقَةَ . إِنَّنِي لَمْ أُرْتَكِبْ أَيَّ خَطَا ، وَلَكِنَّ الشَّرْطَةَ تَبَحَثُ عَنِّي
فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ . »

ابْتَسَمَ وَقَالَ : « لَا بَأْسَ . وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ هَذَا بَعْدَ
الْعِشَاءِ . وَأَنَا سَعِيدٌ لِأَنَّكَ وَصَلْتَ إِلَى هُنَا سَالِمًا . »

وَاسْتَمْتَعْتُ بِالْأَكْلِ مَعَ سِيرَ وَلْتَرِ الَّذِي كَانَ ذَا شَخْصِيَّةٍ مُمْتِعَةٍ ،
وَقَدْ سَافَرَ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْبِلَادِ الْأَجْنِبِيَّةِ . وَحَدَّثَنِي عَنْ رُودِيسِيَا
وَالسَّمَكِ فِي نَهْرِ زَامْبِيزِي ، وَحَكَى لِي هُوَ أَيْضًا عَنْ بَعْضِ مُغَامِرَاتِهِ .

وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَكْتَبَتِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، حَيْثُ أَحْضَرَ لَنَا كَبِيرُ الْخَدَمِ
الْقَهْوَةَ . وَكَانَتْ حُجْرَةُ الْمَكْتَبَةِ لَطِيفَةً جِدًّا ، وَمَلِئَةً بِالْكِتَابِ
وَاللُّوْحَاتِ الرَّائِعَةِ الْمُعَلَّقَةِ عَلَى الْجُدْرَانِ . وَقَرَّرْتُ أَنْ أَشْتَرِيَ مَنْزِلًا مِثْلَ
هَذَا الْمَنْزِلِ عِنْدَمَا أَنْتَهِيَ مِنْ مُهِمَّةِ اسْكَدَرِ .

وَمَالَ سِيرَ وَلْتَرُ إِلَى الْوَرَاءِ فِي مَقْعَدِهِ ، وَقَالَ : « لَقَدْ أَطْعَمْتُ أَوَامِرَ
هَارِي . وَالْآنَ أَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ أَصْغِيَ إِلَيْكَ يَا سَيِّدُ هُنَا . إِنْ
لَدَيْكَ بَعْضُ الْمَعْلُومَاتِ ، عَلَى مَا أَعْتَقِدُ . »

دَهَشْتُ لِسَمَاعِ اسْمِي الْحَقِيقِيِّ ، وَلَكِنِّي بَدَأْتُ حِكَايَتِي ،
وَأَخْبَرْتُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَوَصَفْتُ لَهُ لِقَائِي مَعَ اسْكَدَرِ وَمَخَافَتَهُ عَلَى

كاروليدس . وَأَخْبَرْتَهُ بِجَرِيمَةِ الْقَتْلِ وَمُغَامَرَتِي مَعَ بَائِعِ اللَّبَنِ .

سَأَلَنِي : « أَيْنَ ذَهَبْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « ذَهَبْتُ إِلَى غَالَوَاي . وَسَرَّعَانَ مَا اكْتَشَفْتُ سِرَّ شَفَرَةِ
اسْكُودَر ، وَبِذَلِكَ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقْرَأَ مَفْكِرَتَهُ . »

سَأَلَنِي : « أَلَا تَزَالُ مَعَكَ ؟ »

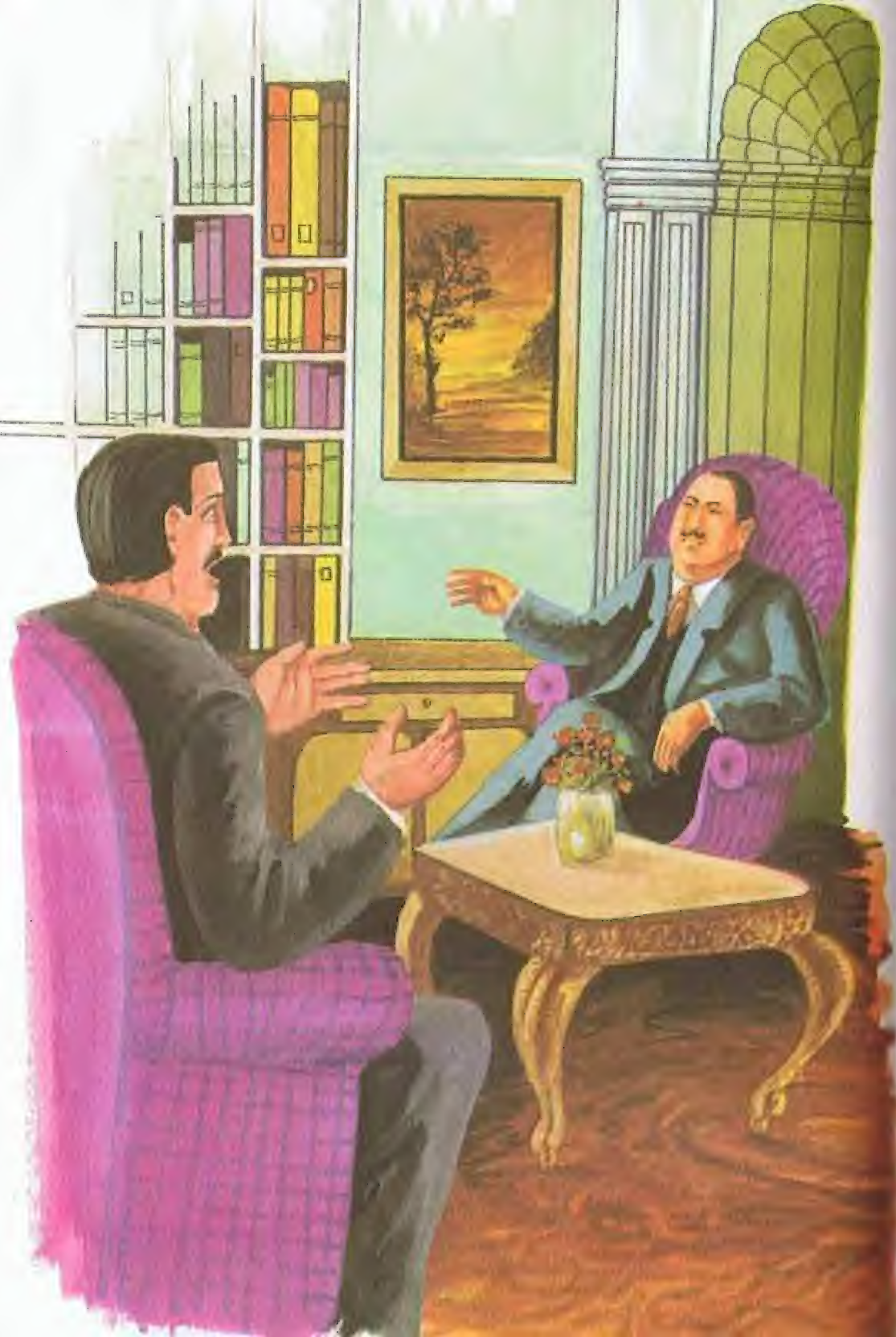
أَجَبْتُ « بَلَى . »

ثُمَّ وَصَفْتُ لَهُ لِقَائِي مَعَ سِير هَارِي ، وَكَيْفَ سَاعَدْتُهُ فِي
بِرَاتْلِيرِن . وَضَحِكُ سِير وَلْتَرِ قَائِلًا : « هَارِي لَا يَسْتَطِيعُ إِقْلَاءَ خُطْبَةٍ .
إِنَّهُ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ جِدًّا ، وَلَكِنْ أَفْكَارُهُ خَاطِئَةٌ . هَيَّا وَاصِلُ حِكَايَتِكَ
يَا سَيِّدُ هَنَّا . »

حَكَيْتُ لَهُ عَنْ تِيرَنْبِلَ وَقِيَامِي بِوُضُفَةِ عَامِلِ طَرَقٍ ، فَسَرَّ كَثِيرًا
بِتِلْكَ الْحِكَايَةِ .

سَأَلَنِي : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِفَ لِي أَوْلَيْكَ الرِّجَالَ الَّذِينَ كَانُوا
فِي السَّيَّارَةِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « أَحَدُهُمْ نَحِيفٌ أَسْوَدُ الشَّعْرِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مِنْ قَبْلُ فِي



الْفُنْدُقِ مَعَ الشَّخْصِ الْبَدِينِ . وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ الثَّالِثَ ، وَهُوَ
أَكْبَرُ سِنًا مِنَ الْاِثْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ .»

« مَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

« قَابَلْتُ مَارْمَادِيوكَ جوبلي ، وَتَمَازَحْتُ مَعَهُ . »

وَضَحِكُ سِيرَ وَلْتَرِ ثَانِيَةً عِنْدَمَا وَصَفْتُ لَهُ هَذَا الْجَزْءَ مِنَ الْحِكَايَةِ
الَّذِي دَارَ مَعَ الرَّجُلِ الْأَصْلَعِ فِي الْمَزْرَعَةِ .

سَأَلَنِي : « كَيْفَ هَرَبْتَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَقَدْ عَثَرْتُ عَلَى دِينَامِيتٍ وَقَتَائِلَ إِشْعَالٍ فِي الدُّوَلَابِ ،
فَقُمْتُ بِتَفْجِيرِ الْمَكَانِ تَقْرِيْبًا . وَيُوجَدُ هُنَاكَ مَطَارٌ صَغِيرٌ تَهْبِطُ فِيهِ
الطَّائِرَةُ . وَأَصِيبْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَلَارِيَا ، وَلَعَلَّ حَالَتِي كَانَتْ سَتَرْدَادُ
سَوْءًا مَا لَمْ يَكُنْ مَعِي . ذَلِكَ الْمِعْطَفُ الْأِسْكُتْلَنْدِيُّ الثَّقِيلُ . وَلَقَدْ قَامَ
تِيرَنْبِلُ بِرِعَايَتِي جَيِّدًا ، ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى الْجَنُوبِ بِالْقِطَارِ ، وَهَآنَذَا الْآنَ
هُنَا . »

نَهَضَ سِيرَ وَلْتَرُ بِبُطْءٍ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ قَائِلًا : « لَا دَاعِيَ لَأَنْ تَخْشَى
رِجَالَ الشُّرْطَةِ يَا هُنَايَ ؛ فَهُمْ لَا يَبْحَثُونَ عَنْكَ الْآنَ . »

وَدَهَشْتُ لِسَمَاعِ ذَلِكَ ، وَصِحْتُ : « لِمَاذَا ؟ هَلْ عَثَرُوا عَلَى
الْقَاتِلِ ؟ »

قَالَ : « كَلَّا ، لَيْسَ بَعْدُ ؛ غَيْرَ أَنَّ رِجَالَ الشُّرْطَةِ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ
لَمْ تَقْتُلِ اسْكَدَرَ . »

« كَيْفَ تَسْنِي لَهُمْ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ ؟ »

« لِأَنِّي تَلَقَّيْتُ خِطَابًا مِنْ اسْكَدَرَ ؛ فَقَدْ أَدَّى لِي عِدَّةَ مَهَامَ ،
وَأَنَا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا . وَقَدْ كَانَ جَاسُوسًا مَاهِرًا لَا يَعْيبُهُ سِوَى شَيْءٍ
وَاحِدٍ . »

« مَا هُوَ ؟ »

« أَنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ دَائِمًا فِي الْعَمَلِ وَحْدَهُ ، وَلَقَدْ قَسَلَ لِهَذَا
السَّبَبِ . إِنَّ الْجَوَاسِيْسَ الْمُحَنِّكِينَ يَتَعَاوَنُونَ دَائِمًا مَعَ الْجَوَاسِيْسِ
الْآخَرِينَ . وَلَكِنْ اسْكَدَرَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا . وَقَدْ أُسِفْتُ
غَايَةَ الْأَسَفِ مِنْ أَجْلِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِنْسَانًا طَيِّبًا وَرَجُلًا شَجَاعًا لِلْغَايَةِ .
وَوَصَلَنِي مِنْهُ خِطَابٌ يَوْمَ ٣١ مَآيُو . »

« لَكِنَّهُ كَانَ مَيِّتًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ لِأَنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ ٢٣ مَآيُو ،
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« بلى ، وَقَدْ كَتَبَ الْخِطَابَ يَوْمَ ٢٣ مايو . وَكَانَ دَائِمًا يُحَاوِلُ خِدَاعَ أَعْدَائِهِ ؛ لِذَا فَقَدْ أُرْسِلَ الْخِطَابُ إِلَى إِسْبَانِيَا أَوَّلًا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ عَادَ الْخِطَابُ إِلَى إِنْجِلْترا . »

« ماذا كَتَبَ فِي خِطَابِهِ ؟ »

« أَخْبَرَنِي أَنَّ بَرِيطَانِيَا فِي خَطَرٍ بِالْغ . وَقَالَ أَيْضًا إِنَّهُ يُقِيمُ مَعَ صَدِيقٍ طَيِّبٍ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الصَّدِيقَ الطَّيِّبَ ، هُوَ أَنْتَ يَا هَنَّا . وَوَعَدَ بِالْكِتَابَةِ مَرَّةً أُخْرَى . »

« ماذا فَعَلْتَ إِذَا ؟ »

« تَوَجَّهْتُ إِلَى الشَّرْطَةِ مُبَاشَرَةً ، وَهُنَاكَ اكْتَشَفُوا اسْمَكَ فَأَرْسَلْنَا بَرَقِيَّةً إِلَى رُودِيسِيَا . وَكَانَ الرَّدُّ فِي صَالِحِكَ ؛ لِذَا لَمْ يُرَاوَدْنَا الشُّكُّ فِيكَ . وَخَمَنْتُ السَّبَبَ فِي مُغَادَرَتِكَ لَنْدُنَ ، فَقَدْ كُنْتُ تُرِيدُ مُوَاصَلَةَ مُهِمَّةِ اسْكدر ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ بَعْدَ ذَلِكَ تَلَقَّيْتُ خِطَابًا هَارِي ، فَخَمَنْتُ أَنَّ تَوْسَدَنَ هُوَ رِيْتَشَارْدَ هَنَّا . »

« كُنْتُ سَعِيدًا جِدًّا لِسَمَاعِ هَذَا الْخَبَرِ ، فَقَدْ كَانَ أَعْدَاءُ وَطَنِي هُمْ أَعْدَائِي ، أَمَّا رِجَالُ الشَّرْطَةِ فَهُمْ الْآنَ أَصْدِقَائِي . . وَعَادَتْ إِلَيَّ حُرِّيَّتِي . »

وَجَلَسَ صَيَّادُ السَّمَكِ وَابْتَسَمَ لِي ، وَقَالَ : « أَرْنِي مُفَكَّرَةً اسْكدر . »

وَأَخْرَجْتُ الْمَفَكَّرَةَ الصَّغِيرَةَ ، وَأَخَذْتُ أُشْرِحُ لَهُ الشُّقْرَةَ . وَكَانَ لَمَّاحًا جِدًّا فَعَرَفَ مَا تَعْنِيهِ الْأَسْمَاءُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ .

قَالَ : « لَقَدْ كَانَ اسْكدر مُصِيبًا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ فَسَوْفَ يَأْتِي إِلَى لَنْدُنَ ضَابِطٌ فَرَنْسِيٌّ فِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ يُونِيهِ ، وَيُؤَافِقُ ذَلِكَ بَعْدَ غَدٍ . وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ سَرِيٌّ ، وَبِالطَّبَعِ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْجَوَاسِيسِ الْأَلْمَانِ فِي إِنْجِلْترا . كَمَا أَنَّ لَنَا بَعْضَ الْأَعْوَانِ كَذَلِكَ فِي أَلْمَانِيَا . وَلَكِنْ كَيْفَ تَوْصَلُوا جَمِيعًا إِلَى مَعْرِفَةِ سِرِّ زِيَارَةِ هَذَا الضَّابِطِ الْفَرَنْسِيِّ ؟ أَمَّا حِكَايَةُ اسْكدر عَنْ الْحَرْبِ وَبَلَاكِ سَتُونِ فَأَنَا لَا أَصَدِّقُهَا . فَقَدْ كَانَتْ تَنْتَابُ اسْكدر بَعْضَ الْأَفْكَارِ الْغَرِيبَةِ . »

وَوَقَفَ سِيرٌ وَكَثُرَ ، وَأَخَذَ يَتَجَوَّلُ فِي أَرْجَاءِ الْغُرْفَةِ جِيئةً وَذَهَابًا وَهُوَ يَرُدُّ : « بَلَاكِ سَتُونِ ! إِنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْحِكَايَاتِ الرُّخِيسَةِ ، كَمَا أَنَّنِي لَا أَصَدِّقُ الْجُزْءَ الْخَاصَّ بِكَارُولِيدِس . فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ رَجُلٌ مُهِمٌّ . وَلَكِنْ لَا يَبْغِي أَحَدٌ أَنْ يَقْتُلَهُ . وَقَدْ يَكُونُ ثَمَّةَ خَطَرٍ عَلَيَّ بِهِ اسْكدر ،

إلا أن الأمر ليس على هذا القدر من الأهمية . إنها المهام العادية
للجاسوس التي يستمتع بها الألمان كثيراً ؛ فأحياناً يقتلون رجلاً ،
كما قتلوا اسكندر . والحكومة الألمانية تدفع لهم نظير ذلك .

ودخل كبير الخدم الحجرة ، وقال : « مكالمة تليفونية لك ،
يا سيدي ؛ إنه مكتبك في لندن ، فالسيد هيث يرغب في التحدث
إليك يا سيدي . »

وغادر سير ولتر المكتبة ، وعاد بعد عدة دقائق شاحب الوجه
للغاية .

قال : « كان اسكندر مصيباً ، وكنت مخطئاً ، فقد مات
كاروليدس ؛ أطلق عليه الرصاص منذ ثلاث ساعات . »

في الصباح أخذ كبير الخدم زي السهرة ، وأحضر بعض
الملابس الأخرى . ونزلت لتناول الإفطار ، فوجدت سير ولتر جالساً
إلى المائدة ، ويده برقية .

قال : « كنت مشغولاً طوال الليل ، فقد اتصلت بوزير الخارجية
ووزير البحرية ، فأتصلاً تليفونياً بقائد البحرية . وسيحضر الضابط
الفرنسي اليوم بدلاً من الغد . إن اسمه « رويه » ، وسيكون هنا في
الخمسة مساء اليوم . وهذه البرقية من قائد البحرية . »

وأشار إلى الطعام الساخن الموجود على المائدة ، فبدأت تناول
الإفطار . وكان إفطاراً جيداً شهياً .

وَ وَاصِلَ حَدِيثِهِ قَائِلًا : « إِنِّي لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا التَّغْيِيرَ سَوْفَ يُسَاعِدُنَا ، فَقَدْ تَوَصَّلَ أَعْدَاؤُنَا لِمَعْرِفَةِ التَّارِيخِ الْأَوَّلِ ، وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَتَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَةِ التَّارِيخِ الْجَدِيدِ أَيْضًا . لَا بُدَّ أَنْ ثَمَّةَ جَاسُوسًا أَلْمَانِيًّا فِي وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ أَوْ وَزَارَةِ الْحَرْبِيَّةِ . وَخَمْسَةُ أَشْخَاصٍ فَقَطْ هُمْ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ بِحُضُورِ رُؤْيِهِ ، وَكُنَّا نَعْتَقِدُ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّ شَخْصًا مَا أَخْبَرَ اسْكَدِرَ وَالْأَلْمَانَ . »

سَأَلْتُهُ : « أَلَا يُمَكِّنُكُمْ تَغْيِيرُ خُطَطِكُمْ الْحَرْبِيَّةِ ؟ »

أَجَابَ : « يُمَكِّنُنَا ، وَلَكِنَّا لَا نُرِيدُ . فَقَدْ فَكَّرْنَا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْخُطَطِ ، وَهِيَ أَفْضَلُ مَا أَمَكَّنَ الْوُصُولُ إِلَيْهِ . »

قُلْتُ : « لَكِنْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ ضَرُورَةٌ ، فَسَتُغَيِّرُونَهَا . »

قَالَ : « رُبَّمَا . إِنَّهَا مُشْكِلَةٌ صَعْبَةٌ ، يَا هَنَائِي ؛ لِأَنَّ أَعْدَاءَنَا لَيْسُوا أَطْفَالًا ، إِنَّهُمْ لَنْ يَسْرِقُوا آيَةً وَرَقَةً مِنْ رُؤْيِهِ ، فَهُمْ يُرِيدُونَ مَعْرِفَةَ خُطَطِنَا ، وَلَكِنْ سِرًّا . وَعِنْدَيْكَ يَعُودُ رُؤْيِهِ إِلَى فَرَنْسَا وَيَقُولُ : « هَا هِيَ ذِي خُطَطُ بَرِيطَانِيَا لِلْحَرْبِ ، وَهِيَ فِي غَايَةِ السَّرِّيَّةِ ، وَالْأَلْمَانُ لَا يَعْرِفُونَ عَنْهَا شَيْئًا . »

قُلْتُ : « يَنْبَغِي إِذَا تَعَيَّنَ حَارِسُ خَاصِّ لِلرَّجُلِ الْفَرَنْسِيِّ ، يُرَافِقُهُ طَوَالَ الْوَقْتِ . »

قَالَ : « سَيَتَنَاوَلُ رُؤْيِهِ الْعِشَاءَ مَعَ وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ يَأْتِي إِلَى مَنْزِلِي لِمُقَابَلَةِ أَرْبَعَةِ أَشْخَاصٍ ، هُمْ سِير آرثر درو ، وَاللَّوَاءُ وَنِسْتَانْلِي ، وَالسَّيِّدُ وَيْتَاكِر ، وَأَنَا . وَنَظَرًا لِأَنَّ قَائِدَ الْبَحْرِيَّةِ مَتَوَعِّكٌ قَلِيلًا مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ ، لَذَا فَإِنَّ السَّيِّدَ وَيْتَاكِرَ سَيَحْضُرُ بَدَلًا مِنْهُ ، وَمَعَهُ الْخُطَطُ الَّتِي سَيَسَلِّمُهَا مِنْ مَكْتَبِ قَائِدِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَسَنَقُومُ نَحْنُ بِتَسْلِيمِهَا لِرُؤْيِهِ الَّذِي سَيَسَافِرُ إِلَى بُورْتِسْمَاوْثَ ، حَيْثُ تَنْتَظِرُهُ سَفِينَةٌ حَرْبِيَّةٌ سَتَجْرُ بِهِ إِلَى فَرَنْسَا . وَسَيَكُونُ بِصُحْبَتِهِ حَارِسٌ خَاصٌّ طَوَالَ الْوَقْتِ . »

وَبَعْدَ الْإِفْطَارِ سَافَرْنَا إِلَى لَنْدَنَ بِالسَّيَّارَةِ .

وَقَالَ لِي سِير وُلْتِر : « إِنِّي ذَاهِبٌ بِكَ إِلَى شُرْطَةِ اسْكُتْلَنْدِ يَارْدَ ، يَا هَنَائِي ؛ لِأَنِّي أُرِيدُكَ أَنْ تُقَابِلَ مَأْمُورَ الشُّرْطَةِ . »

وَكَانَتْ السَّاعَةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةٌ وَالنِّصْفَ عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى مَقَرِّ شُرْطَةِ اسْكُتْلَنْدِ يَارْدَ . وَسِرْنَا دَاخِلَ الْمَبْنَى الضَّخْمِ الْمُعْتَمِ ، وَقَابَلْتُ الْمَأْمُورَ ، وَكَانَ اسْمُهُ مَآكْ غَلِيْشْرَايَ .

قَالَ سِير وُلْتِر : « لَقَدْ أَتَيْتُ لَكَ بِالْقَاتِلِ . »

إِبْتَسَمَ الْمَأْمُورُ وَقَالَ : « يُسْعِدُنِي أَكْثَرَ لَوْ كُنْتُ أَتَيْتُ لِي بِالْقَاتِلِ »

الحَقِيقِي ، يا بوليفانت . صباحَ الخير ، يا سيّد هَنّاي ، لا شكَّ
أنّك تُثِيرُ الاهتمامَ لِلْغَايَةِ .

قالَ سِير وَلْتَر : « سَوْفَ يَحْكِي لَكَ عَنْ أَشْيَاءَ مُشِيرَةٍ ، وَلَكِنْ لَيْسَ
الْيَوْمَ . وَيُؤَسِّفُنِي أَنْ تُضْطَرَّ إِلَى الْإِنْتِظَارِ مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . إِنْ
السَّيِّدَ هَنّاي حُرَّ الْآنَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ الْمَأْمُورُ : « بَلَى بِالطَّبَعِ . » ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ قَائِلًا : « أَتَوَدُّ أَنْ
تَعُودَ إِلَى شَقَّتِكَ الْقَدِيمَةِ ؟ إِنَّهَا جَاهِزَةٌ إِذَا أَرَدْتَ ، وَلَكِنْ لَعَلَّكَ تَوَدُّ
الْإِنْتِقَالَ إِلَى غَيْرِهَا . »

كُنْتُ أَفَكِّرُ فِي اسْكَدَر فَلَمْ أُسْتَطِعِ الْإِجَابَةَ .

قالَ سِير وَلْتَر : « يَجِبُ أَنْ أَنْصَرِفَ الْآنَ . وَرَبَّمَا نَكُونُ فِي حَاجَةٍ
إِلَى بَعْضِ رِجَالِكَ ، يَا مَآكَ غَلِيْفَرَاي ، اللَّيْلَةُ أَوْ غَدًا ، فَقَدْ نَوَاجُهُ
بَعْضَ الْمَتَاعِبِ . »

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَغَادِرُ الْمَكَانَ ، أَمْسَكَ سِير وَلْتَر بِذِرَاعِي قَائِلًا : « إِنَّكَ
عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ ، يَا هَنّاي ، وَسَتَكُونُ بِمَأْمَنٍ تَمَامًا فِي لُنْدَن . تَعَالُ
وَقَابِلْنِي غَدًا ، وَلَا تَتَحَدَّثْ عَنْ أَوْلِيكَ الْجَوَاسِيْسِ . وَمِنْ الْأَفْضَلِ لَكَ
أَنْ تَمُكِّثَ فِي شَقَّتِكَ الْيَوْمَ . » ثُمَّ ضَحِكَ ضَحًّا فَجَاءَةً وَقَالَ : « إِذَا رَأَى
أَعْوَانُ بَلَكَ سَتُون ، فَسَوْفَ يَقْتُلُونَكَ . »

وَعِنْدَمَا أَنْصَرَفَ سِير وَلْتَر شَعَرْتُ بِالْوَحْدَةِ التَّامَةِ . لَقَدْ أَصْبَحْتُ
حُرًّا ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ مُتَوَثِّرًا جَدًّا . وَذَهَبْتُ
إِلَى فُنْدُقِ سَافُوي ، وَطَلَبْتُ وَجْبَةً شَهِيَّةً ، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أُسْتَمْتِعْ بِهَا .
وَكَانَ النَّاسُ يَتَطَلَّعُونَ إِلَيَّ ، وَتَسَاءَلْتُ فِي نَفْسِي : « تَرَى هَلْ
تَعْرِفُونَا عَلَيَّ ؟ هَلْ رَأَوْا صُورَتِي عَلَى صَفْحَاتِ الْجَرَائِدِ ؟ » وَسَرَّعَانِ مَا
غَادَرْتُ الْفُنْدُقَ .

وَبَعْدَ الظُّهْرِ رَكِبْتُ سَيَّارَةَ أُجْرَةٍ ، وَاتَّجَهْتُ عِدَّةَ كِيلُو مِثْرَاتٍ
شِمَالِي لُنْدَن . وَدَفَعْتُ الْأُجْرَةَ لِلْسَّائِقِ ، ثُمَّ بَدَأْتُ أَمْشِي عَائِدًا .
وَسَرْتُ سَاعَاتٍ عَدِيدَةً ، وَأَخِيرًا عُدْتُ إِلَى وَسْطِ مَدِينَةِ لُنْدَن مَرَّةً ثَانِيَةً ،
وَكَنْتُ أَشْعُرُ بِكَآبَةٍ شَدِيدَةٍ .

كَانَتْ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ ، وَكَانَتْ تَجْرِي - فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ -
أَحْدَاثٌ مُهِمَّةٌ فِي لُنْدَن ، فَقَدْ وَصَلَهَا رُويَه . وَكَانَ سِير وَلْتَر مَشْغُولًا
فِي وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ ، أَوْ يَقُومُ بِالتَّخْطِيطِ لِلْاجْتِمَاعِ . وَكَانَ جَوَاسِيْسُ
بَلَكَ سَتُون يُرَاقِبُونَ وَيَتَرَقَّبُونَ بِهَدْوٍ . وَلَكِنْ مَا الَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُهُ
أَنَا ؟ كُنْتُ أَتَجَوَّلُ وَسْطَ مَدِينَةِ لُنْدَن .

وَفَجْأَةً خَطَرْتُ لِي فِكْرَةً غَرِيبَةً ، فَقَدْ كُنْتُ أَوْمِنُ بِأَنْ ثَمَّةَ خَطَرًا
يَهْدِدُ لُنْدَن فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ . وَهُوَ خَطَرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقَاوِمَهُ إِلَّا

أنا فقط .

يَسْتَطِيعُ قَلَّةٌ مِنَ الْجَوَاسِيسِ الْأَلْمَانِ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا ضِدَّ كُلِّ هَذِهِ الْقُوَّةِ ؟

لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ ثَمَّةَ صَوْتٍ خَافِتٍ يُرَدِّدُ فِي أذُنِي : « أَفْعَلْ شَيْئًا ، يَا هَنَّا ، إِنْهَضْ وَأَفْعَلْ شَيْئًا الْآنَ ، وَلَا فَلَئِنْ تَنَعَمَ بِنَوْمٍ أَبَدًا . »

وَفِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ كُنْتُ أُسِيرُ فِي شَارِعِ جِيرْمِين ، وَقَرَّرْتُ مَا أَفْعَلُهُ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى مَنْزِلِ سِير وَلْتَر . وَكُنْتُ أَعْرِفُ الْعُنْوَانَ ، وَكَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيَّ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ . وَلَأنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَاجِبًا فِي رُؤْيَايَ ، كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلْ شَيْئًا .

وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى شَارِعِ دِيوك ، مَرَرْتُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الشُّبَّانِ يَرْتَدُونَ مَلَائِسَ السَّهْرَةِ ، وَكَانُوا خَارِجِينَ مِنْ أَحَدِ الْفَنَادِقِ . وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَارْمَادِيوكُ جُونِي ، وَعِنْدَمَا رَأَانِي تَعَرَّفَ عَلَيَّ فِي الْحَالِ ، وَصَاحَ : « أَنْظُرُوا ! إِنَّهُ الْقَاتِلُ ! اقْبِضُوا عَلَيْهِ ! اقْبِضُوا عَلَيْهِ ! إِنَّهُ الْقَاتِلُ هَنَّا ! »

وَأَمْسَكَ مَارْمَادِيوكُ بِذِرَاعِي ، وَأَنْدَفَعَ الْآخَرُونَ لِمُسَاعَدَتِهِ . وَأَقْبَلَ شُرْطِيَّ جَرِيًّا عَبْرَ الشَّارِعِ ، فَضَرَبْتُ مَارْمَادِيوكَ بِشِدَّةٍ بِيَدِي الْيُسْرَى ، وَرَأَيْتُهُ يَسْقُطُ ، إِلَّا أَنَّ الْجَمْعَ أَمْسَكَ بِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ الْحَرَكََةَ .

تَرَى مَا الَّذِي يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَهُ ؟ فَسِير وَلْتَر لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ ، وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ الْإِشْرَاقَ فِي اجْتِمَاعِ مُهِمٍّ مِثْلِ هَذَا يَضُمُّ ضُبَّاطًا وَوُزَرَءَ . وَيُمَكِّنُنِي بِالطَّبَعِ أَنْ أَفْتَشَ عَنِ الْجَوَاسِيسِ الْأَلْمَانِ ، وَأَسْتَطِيعُ قِتَالَهُمْ ، إِذَا وَجَدْتَهُمْ . وَكُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ؛ هُوَ أَنَّ وَطَنِي فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ . فَإِذَا لَمْ أَقْسِدْ خُطْطَهُمْ ، فَسَوْفَ يَكْسِبُ الْجَوَاسِيسُ الْأَلْمَانُ الْجَوْلَةَ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « لَكِنْ هَلْ هَذَا صَحِيحٌ ، يَا هَنَّا ؟ أَلَا يَسْتَطِيعُ سِير وَلْتَر وَأَصْدِقَاؤُهُ أَنْ يَقُومُوا بِرِعَايَةِ مَصَالِحِ بَرِيطَانِيَا بِسَهُولَةٍ ؟ أَلَا يَعْرِفُ قَائِدُ الْبَحْرِيَّةِ شُئُونَ عَمَلِهِ أَفْضَلَ مِمَّا تَعْرِفُ أَنْتَ ؟ هَلْ



سَأَلَ الشَّرْطِيُّ : « مَا الَّذِي يَحْدُثُ هُنَا ؟ »

صَرَخَ مَارْمَادِيُوكَ قَائِلًا : « إِنَّهُ هُنَايَ الْقَاتِلُ ! »

قُلْتُ لَهُ : « إِهْدَأْ ، أَنَا لَسْتُ بِقَاتِلٍ . أَصْنَعْ إِلَيَّ أَيُّهَا الشَّرْطِيُّ ،
وَأَعْمَلْ بِنَصِيحَتِي وَلَا تَقْبِضْ عَلَيَّ ؛ فَمَأْمُورُ الشَّرْطَةِ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِّي . لَقَدْ كُنْتُ فِي سَكْتَلُنْدَ يَارِدَ هَذَا الصَّبَاحِ . »

قَالَ الشَّرْطِيُّ : « سَتَأْتِي مَعِيَ الْآنَ أَيُّهَا الشَّابُّ ؛ فَقَدْ رَأَيْتَكَ تَبْدَأُ
الشَّجَارَ . » وَأَشَارَ إِلَى مَارْمَادِيُوكَ الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ مُمَدِّدًا عَلَى
الأَرْضِ ، وَقَالَ : « إِنَّ هَذَا الشَّابَّ كَمْ يَفْعَلُ لَكَ أَيَّ شَيْءٍ ، وَأَنَا
رَأَيْتَكَ تَضْرِبُهُ . وَالْآنَ هَيَّا مَعِيَ بِهَدُوءٍ إِلَى مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ . »

وَأَشْتَدَّ بِي الْغَضَبُ ، وَسَمِعْتُ الصَّوْتَ الْخَافِتَ يَطْنُ فِي أُذُنِي مَرَّةً
ثَانِيَةً : « يَجِبُ أَنْ تَهْرَبَ . لَا تُضَيِّعْ دَقِيقَةً هُنَا . »

وَفَجْأَةً دَبَّتْ فِي قُوَّةٍ هَائِلَةٍ ؛ فَاسْتَدْرْتُ بِسُرْعَةٍ وَطَرَحْتُ الشَّرْطِيَّ
أَرْضًا ، وَدَفَعْتُ الرِّجَالَ الْآخَرِينَ ، وَأَنْطَلَقْتُ أَعْدُو فِي شَارِعِ دِيُوكَ .

وَأَنَا رَجُلٌ سَرِيعُ الْعَدُو إِذَا أَرَدْتُ ، وَفِي تِلْكَ الْأَمْسِيَّةِ كِدْتُ أَطِيرُ
تَقْرِيْبًا . وَبَعْدَ دَقَائِقَ كُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى شَارِعِ بُولِ مُولَ ، ثُمَّ
انْحَرَفْتُ صَوْبَ حَدِيقَةِ سَانْتِ جِيْمَسَ . وَكُنْتُ أَعْدُو بَيْنَ سَيَّارَاتِ

الأَجْرَةِ فِي شَارِعِ بُولِ مُولَ ، وَعَبَرْتُ الْجِسْرَ ، وَكَانَ هُنَاكَ عَدَدٌ
قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْحَدِيقَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَوْقِفْنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ .
وَكَانَ مَنْزِلُ سِيرِ وَلْتَرِ فِي شَارِعِ كُوينزَ أَنْ غَيْتَ . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ
إِلَى هُنَاكَ ، أَخَذْتُ أُسِيرُ بِشَكْلِ عَادِيٍّ .

وَكَانَ ثَمَّةُ ثَلَاثُ أَوْ أَرْبَعُ سَيَّارَاتٍ تَقِفُ فِي الشَّارِعِ أَمَامَ الْمَنْزِلِ .
وَاتَّجَهْتُ إِلَى الْبَابِ وَدَقَقْتُ الْجَرَسَ ؛ وَفَتَحَ كَبِيرُ الْخَدَمِ الْبَابَ عَلَى
الْفُورِ ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَ صَيِّحَاتِ آتِيَةٍ مِنْ بَعِيدٍ ، وَلَكِنْ
الشَّارِعُ كَانَ خَالِيًا .

قُلْتُ لَهُ : « يَجِبُ أَنْ أَقَابِلَ سِيرِ وَلْتَرِ ؛ فَلَدَيَّ مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا . »

قَالَ : « تَفَضَّلْ يَا سَيِّدِي . وَيُؤَسِّفُنِي أَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مُقَابَلَتَهُ فِي
الْحَالِ ، وَلَكِنْ يُمَكِّنُكَ الْإِنْتِظَارُ فِي الْبَهْوِ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْجَمْعُ . »

كَانَ الْمَنْزِلُ مِنَ الطَّرَازِ الْقَدِيمِ ، ذَا بَهْوٍ وَاسِعٍ مَرْبَعِ الشَّكْلِ ،
وَكَانَتِ الْأَبْوَابُ تُوْدِي إِلَى حُجْرَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي كُلِّ جَانِبٍ ، وَعَلَى
بَابِ إِحْدَى الْحُجْرَاتِ كَانَ يَقِفُ حَارِسٌ يَرْتَدِي مَلَابِيسَ عَادِيَّةٍ .
وَجَلَسْتُ فِي رُكْنٍ بِالْقُرْبِ مِنَ التِّلِفُونِ .

وَأَشْرْتُ إِلَى رَئِيسِ الْخَدَمِ قَائِلًا : « إِنِّي فِي مَازِقٍ ، وَأَنَا أَعْمَلُ

مِنْ أَجْلِ سِيرٍ وَلْتَرِ ، وَهُوَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمَوْضُوعِ ؛ فَالشُّرْطَةُ
وَجَمَهْرَةٌ مِنَ النَّاسِ يَتَعَقَّبُونَنِي ، وَقَدْ يَخْضُرُونَ إِلَى هُنَا ، فَأَرْجُوكَ أَلَّا
تُخْبِرَهُمْ بِأَنِّي مَوْجُودٌ ، وَلَا تَدْعُهُمْ يَدْخُلُونَ .

أَجَابَ : « سَمْعًا وَطَاعَةً يَا سَيِّدِي . »

وَبَعْدَ مُضِيِّ دَقِيقَةٍ أَوْ دَقِيقَتَيْنِ سَمِعْتُ أَصْوَاتًا بِالْخَارِجِ . وَدُقَّ
جَرَسُ الْبَابِ ، وَذَهَبَ كَبِيرُ الْخَدَمِ لِيُجِيبَ الطَّارِقَ ، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ
شَخْصٌ مِنَ الْخَارِجِ ، وَفَجْأَةً اعْتَدَلَ الْخَادِمُ فِي وَقْفَتِهِ ، وَقَالَ :

« أَنَا آسِفٌ ، فَهَذَا مَنْزِلُ سِيرٍ وَلْتَرِ بُولِيْفَانْتِ ، وَسِيرٍ وَلْتَرِ هُوَ
سِكْرِتِيرٌ عَامٌّ وَزَارَةُ الْخَارِجِيَّةِ . وَلِلْآسَفِ لَا أَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ أَيِّ قَائِلٍ .
وَالآنَ أَرْجُوكَ أَنْ تَنْصَرِفَ وَإِلَّا اسْتَدْعَيْتُ الشُّرْطَةَ بِنَفْسِي . »

وَعِنْدَيْدِ أَغْلَقَ الْبَابَ وَعَادَ مِنَ الْبَهْوِ . وَبَعْدَ مُضِيِّ دَقِيقَتَيْنِ دُقَّ
الْجَرَسُ ثَانِيَةً ، وَدَلَفَ رَجُلٌ ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَخْلَعُ مِعْطَفَهُ رَأَيْتُ وَجْهَهُ .
وَكَانَ ، مَأْلُوفًا ، وَكَثِيرًا مَا رَأَيْتُ صُورَتَهُ فِي الْجَرَائِدِ . كَانَ الرَّجُلُ
هُوَ اللُّوردُ أَلْوَا قَائِدُ الْبَحْرِيَّةِ ، وَكَانَ ضَخْمًا ذَا أَنْفٍ كَبِيرٍ وَعَيْنَيْنِ
زَرْقَاوَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ .

وَمَرَّ أَمَامِي ، وَفَتَحَ لَهُ الْحَارِسُ بَابَ الْحُجْرَةِ . وَانْتَهَرْتُ فِي الْبَهْوِ

عِشْرِينَ دَقِيقَةً ، وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ كَانَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ لَا يَزَالُ يَرُدُّ
فِي أُذُنِي : « لَا تَنْصَرِفْ . سَوْفَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ . » وَدُقَّ جَرَسُ
صَغِيرٍ خَلْفَ الْمَنْزِلِ ، فَحَضَرَ كَبِيرُ الْخَدَمِ - فِي الْحَالِ - إِلَى الْبَهْوِ .
وَعَادَرَ قَائِدُ الْبَحْرِيَّةِ قَاعَةَ الْاجْتِمَاعَاتِ ، وَنَاولَهُ كَبِيرُ الْخَدَمِ مِعْطَفَهُ .
وَتَطَلَّعْتُ إِلَى الرَّجُلِ لَحْظَةً ، وَنَظَرَهُ هُوَ مُبَاشَرَةً إِلَيَّ . وَحَدَّثْتُ كُلَّ
ذَلِكَ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ . وَعَلَتْ خَفَقَاتُ قَلْبِي فَجْأَةً ؛ إِذْ لَاحَظْتُ بَرِيقًا
فِي عَيْنَيْهِ . وَلَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ قَابِلْتُ قَائِدَ الْبَحْرِيَّةِ قَطُّ ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ
أَنْ قَابِلَنِي . وَلَكِنْ لَيْسَ ثَمَّةَ شَكٍّ فِي بَرِيقِ عَيْنَيْهِ الَّذِي ظَهَرَ فَجْأَةً ،
إِنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُ تَعَرَّفَ عَلَيَّ . وَحَوْلَ بَصَرِهِ عَنِّي فِي الْحَالِ ، وَسَارَ
نَاحِيَةَ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ لَهُ كَبِيرُ الْخَدَمِ ثُمَّ أَغْلَقَهُ خَلْفَهُ .

وَتَنَاوَلْتُ دَكِيلَ التَّلِفُونَاتِ ، وَبَحَثْتُ بِسُرْعَةٍ عَنْ رَقْمِ تَلِفُونِ لُورْدِ
أَلْوَا ، وَأَدْرَتُ الرَّقْمَ وَرَدَّ عَلَيَّ الْخَادِمُ ، فَسَأَلْتُهُ : « هَلْ قَائِدُ الْبَحْرِيَّةِ
مَوْجُودٌ بِالْبَيْتِ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، وَلَكِنَّهُ مُتَوَعِّكٌ قَلِيلًا ،
وَقَدْ لَزِمَ الْفِرَاشَ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِ الْيَوْمِ . هَلْ لِي أَنْ أُبْلِغَهُ رِسَالَتَكَ ،
يَا سَيِّدِي ؟ »

قُلْتُ : « لَا ، شُكْرًا . » وَأَعَدْتُ السَّمَاعَةَ .

وَأَجْتَزَّتْ الْبَهْوُ بِسُرْعَةٍ إِلَى قَاعَةِ الْاجْتِمَاعَاتِ ، وَدَخَلَتْ دُونَ
اسْتِئْذَانٍ . وَتَطَلَّعَتْ إِلَى بَدْهَشَةِ خَمْسَةِ وَجُوهِ مِنْ وَرَاءِ مَائِدَةٍ
مُسْتَدِيرَةٍ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ هَذِهِ الْوُجُوهِ سِيرٌ وَلُتْرٌ ، وَارْتَرٌ دُرُو
وَزِيرٌ الْحَرَبِيَّةِ ، وَقَدْ تَعَرَّفْتُ عَلَى الْأَخِيرِ بِسَهُولَةٍ مِنْ صُورِهِ فِي
الْجَرَائِدِ ، وَالْجُرْنَالِ وَنِسْتَانَلِي ، وَرَجُلٌ مُسِنٌّ مِنَ الْأَرْجَحِ أَنَّهُ وَيْتَاكَرُ ،
وَكَانَ يَقِفُ بِجَانِبِهِ . أَمَّا الرَّجُلُ الْخَامِسُ فَكَانَ قَصِيرًا بَدِينًا لَهُ شَارِبٌ
رَمَادِيٌّ دَاكِنٌ .

وَبَدَأَ الْغَضَبُ الشَّدِيدُ عَلَى وَجْهِ سِيرٍ وَلُتْرٍ ، وَقَالَ : « هَذَا هُوَ
السَّيِّدُ هُنَا ، أَيُّهَا السَّادَةُ ، وَقَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنْهُ . وَلَكِنْ لِمَاذَا جِئْتَ
إِلَى هُنَا يَا هُنَاي ؟ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنَا مَشْغُولُونَ جِدًّا . »

قُلْتُ : « إِنَّ أَعْدَاءَكُمْ مَشْغُولُونَ أَيْضًا يَا سَيِّدِي . وَقَدْ غَادَرَ
أَحَدُهُمْ هَذِهِ الْحُجْرَةَ تَوًّا . »

فَاحْمَرَّ وَجْهُ سِيرٍ وَلُتْرٍ وَهُوَ يَقُولُ : « لَكِنْ ذَلِكَ كَانَ اللَّوردُ أَلْوَا . »

صَحْتُ : « لَمْ يَكُنْ هُوَ . إِنَّ اللَّوردَ أَلْوَا يَرْقُدُ فِي الْفِرَاشِ مِنْ بَعْدِ
ظَهْرِ الْيَوْمِ . لَقَدْ تَحَدَّثْتُ حَالًا إِلَى خَادِمِهِ تَلِفُونِيًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي
كَانَ هُنَا عَرَفَنِي ، وَاللَّوردُ أَلْوَا لَا يَعْرِفُنِي . »

وَسَأَلَ أَحَدَهُمْ بِانْزِعَاجٍ : « إِذَا مَنْ ... مَنْ يَكُونُ ؟ »

فَصَحْتُ : « بَلَاكَ سَتُونَ ! »

وَنَظَرْتُ حَوْلَ الْمَائِدَةِ ، فَرَأَيْتُ الشُّكَّ وَالذُّعْرَ يُطِلَانِ مِنْ أُعْيُنِ
الرُّجَالِ الْخَمْسَةِ .

قال الجنرال ونستائلي : « أنا لا أصدق ذلك ! لقد كان ألوا يقف بجانبني منذ عشر دقائق ! »

قلت : « أيها السادة ، إن عصابة بلاك ستون تتقن عملها . ومن المحتمل أنكم لم تدققوا النظر في الرجل ، فقد كنتم تتكلمون عن تلك الخطط المهمة . وكان الرجل يشبه اللورد ألوا ؛ لذا لم تشكوا فيه ، ولكنه كان رجلاً آخر . ومن المحتمل أنني رأيته خلال الشهر الماضي . »

بعد ذلك تحدث الضابط الفرنسي ، فقال ببطء وبلغة إنجليزية سليمة : « هذا الشاب على حق ، فإن أعداءنا يتقنون عملهم تماماً . أصغوا إلي ؛ فسوف أقص عليكم قصة حقيقية حدثت منذ أعوام عديدة عندما كنت في السنغال . وكنت أعيش في فندق ، ولكنني اعتدت أن أذهب كل يوم لصيد السمك . ولما كان النهار يبعد عدة كيلو مترات فقد تعودت على الذهاب إلى هناك ممتطياً جواداً . »

« وذات يوم لففت طعامي كالعادة وعلفتها في ربة الجواد ، ثم توجهت إلى النهار . وعندما وصلت إلى هناك ربطت الجواد إلى شجرة وجلست أخطأ عدة ساعات ، ولم أكن أفكر إلا في

الفصل التاسع

التسع والثلاثون درجة

قال السيد ويتاكر : « لكن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً ؛ لأن اللورد ألوا أخبرني أنه من المحتمل ألا يحضر الاجتماع . وأنا أعرفه جيداً ولم أدهش عندما رأيته هنا . إنك مخطئ في هذا تماماً ، يا هنائي . »

وخرج سير ولتر من الحجرة ، وتحدث إلى شخص ما تليفونياً . وعندما عاد كان صاحب الوجه .

قال : « لقد تحدثت إلى ألوا . وقد نهض من الفراش ليرد على التليفون . إن هنائي على صواب . والرجل الذي كان هنا ليس لورد ألوا . »

السَّمَكِ . وَلَمْ أَتَّبِعْهُ إِلَى الْجَوَادِ قَطُّ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَأَرَى خَيَالَهُ يَرُكِّنُ عَيْنِي . وَكَانَ الْجَوَادُ يَتَحَرَّكُ ، وَيَبْصُهُلُ كَثِيرًا ، وَكُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ كَالْعَادَةِ ، وَلَكِنْ دُونَ أَنْ أَرْفَعَ عَيْنِي عَنِ الْمَاءِ .

« وَعِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ الْغَدَاءِ ، وَضَعْتُ السَّمَكَ فِي كَيْسٍ ، وَسِرْتُ بِحِذَاءِ ضِفَّةِ النَّهْرِ . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الشَّجَرَةِ الْقَيِّتِ بِالْحَقِيقَةِ فَوْقَ ظَهْرِ الْجَوَادِ . »

وَتَوَقَّفَ الرَّجُلُ الْفَرَنْسِيُّ عَنِ الْكَلَامِ وَتَطَلَّعَ إِلَى الْجَمِيعِ حَوْلَ الْمَائِدَةِ ، ثُمَّ وَاصَلَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَفَتَ نَظْرِي هُوَ الرَّائِحَةُ ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي وَأَدْرْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ الْكَيْسَ فَوْقَ ظَهْرِ أَسَدٍ وَالْجَوَادَ مَيِّتًا بَعْدَ أَنْ التَّهَمَ نِصْفَهُ ، وَكَانَ النِّصْفُ الْآخَرُ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ خَلْفَ الْأَسَدِ . »

سَأَلْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا قِصَّةُ إِفْرِيقِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ : « مَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ : « أَطْلَقْتُ الرِّصَاصَ عَلَى رَأْسِ الْأَسَدِ ، وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ كَانَ قَدْ أَخَذَ جِزْءًا مِنِّي . » وَرَفَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى الَّتِي لَمْ يَكُنْ بِهَا سِوَى أَصْبَعَيْنِ فَقَطُّ .



وَ واصلَ كلامَهُ قائلاً : « كَانَ الْجَوَادُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ سَاعَةٍ ، وَظَلَّ
الْأَسَدُ يَرِاقِبُنِي طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَكَانَ ثَمَّةَ جِسْمٍ بَنَى اللَّوْنُ يَقِفُ
بِجَوَارِ الشَّجَرَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ رَأَيْتُ اللَّوْنَ وَالشَّكْلَ فَقَطْ ، وَلَمْ أَدَقِّقِ
النَّظَرَ . تِلْكَ كَانَتْ غَلَطَتِي أَهْيَا السَّادَّةَ ، وَنَحْنُ قَدْ ارْتَكَبْنَا الْغَلْطَةَ
نَفْسَهَا اللَّيْلَةَ . »

وَصَدَّقَ سِيرٌ وَلْتَرَ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ الْجِنْرَالُ : « هَلْ عَضُو عِصَابَةِ بِلَاكِ سَتُونِ هَذَا جَاسُوسُ
الْأَلْمَانِيِّ أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ؟ إِنْ أَحَدًا لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِكُلِّ
هَذِهِ الْحَقَائِقِ وَالْأَرْقَامِ فِي رَأْسِهِ . وَاعْتَقِدْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُشْكَلُ
أَهْمِيَّةَ كَبِيرَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِي . »

أَجَابَ الرَّجُلُ الْفَرَنْسِيُّ : « بَلْ يُمَكِّنُ ؛ فَالْجَاسُوسُ الْمَاهِرُ يَسْتَطِيعُ
تَذَكُّرَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَعَيْنَاهُ مِثْلُ الْكَامِرَا . هَلْ لَاحَظْتَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ؟ لَقَدْ قَرَأَ الْأُورَاقَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .
هُوَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّ كُلَّ الْحَقَائِقِ لَدَيْهِ الْآنَ . وَأَنَا عِنْدَمَا كُنْتُ شَابًّا ،
كُنْتُ أَسْتَطِيعُ فَعْلَ الشَّيْءِ نَفْسِهِ . »

قَالَ سِيرٌ وَلْتَرَ : « يَجِبُ أَنْ نُغَيِّرَ الْخُطْطَ . »

وَبَدَتْ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَتَاكَر ، وَسَأَلَ : « هَلْ قُلْتَ ذَلِكَ
لِلْوَرْدِ أَلْوَا ؟ »

« لَا . »

« مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقَرِّرَ ذَلِكَ الْآنَ ، وَلَكِنِّي وَاثِقٌ
تَمَامًا بِأَنَّ لَوْ غَيَّرْنَا الْخُطْطَ ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُغَيِّرَ سَاحِلَ إِنْجِلْتِرَا أَيْضًا ! »

قَالَ رُويَه : « ثَمَّةَ مُشْكِلَةٍ أُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّنِي قَدْ ذَكَرْتُ لَكُمْ
بَعْضَ الْخُطْطِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَسَمِعَهَا ذَلِكَ الْجَاسُوسُ الْأَلْمَانِيُّ . وَهَكَذَا
فَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ نُغَيِّرَ خُطْطَنَا ، وَلَكِنْ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَقْبِضَ
عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ وَأَعُوَانِهِ قَبْلَ أَنْ يُغَادِرُوا الْبِلَادَ . »

صَبَحَتْ مُتَسَائِلًا : « لَكِنْ كَيْفَ ؟ إِنَّنَا لَا نَعْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ
عَنْهُمْ . »

قَالَ وَيَتَاكَر : « وَهَنَّاكَ الْبَرِيدُ ؛ إِذْ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يُرْسِلُوا كُلَّ
الْمَعْلُومَاتِ إِلَى أَلْمَانِيَا بِالْبَرِيدِ . وَرَبَّمَا هُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى ذَلِكَ
الْآنَ ، وَلَا يُمَكِّنُنَا بِأَيِّ حَالٍ أَنْ نُفْتَشَ الْبَرِيدَ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْفَرَنْسِيُّ : « لَا ! إِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ كَيْفَ يَعْمَلُ

الجاسوس الماهر أيها السادة ، إنه يدلي بالأسرار بنفسه . فالألمان
سيدفعون للرجل الذي يحمل لهم الخطط . وهكذا فالفرصة لا
تزال سانحة أمامنا . ولا بد أن يعبر ذلك الشخص البحر حتى يصل
إلى ألمانيا ؛ لذا ينبغي علينا أن نفتش كل السفن . وصدقوني ،
أيها السادة ، فهذه مسألة مهمة جداً لكل من فرنسا وبريطانيا .

وكان من الواضح أن رويه رجل حكيم ، وأفكاره صائبة . ولكن
أين نجد هؤلاء الجواسيس الألمان ؟ إنها مشكلة عويصة جداً .

وفجأة تذكرت مفكرة اسكندر ، فصيحْتُ : « سير ولتر ، هل
أحضرت مفكرة اسكندر معك ؟ لقد تذكرت شيئاً مهماً جاء بها . »

أوماً برأسه بالإيجاب ، وتوجه إلى خزانة وأحضر المفكرة . وبعد
بضع دقائق وجدت الصفحة .

قرأت : « تسع وثلاثون درجة . تسع وثلاثون درجة ، لقد
عددتها . المد العالي يكون في الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة . »

وسألني ويتاكر الذي كان يتطلع إلي : « ماذا يعني كل ذلك ؟ »

أجبت : « كان اسكندر يعرف كل أولئك الجواسيس ، وكان

يعرف المكان الذي يعيشون فيه . ومن المحتمل أنهم سيغادرون
البلاد غداً ، واعتقد أننا سنجدهم قرب البحر . وهناك درجات أشبه
بالسلاالم في ذلك المكان . والمد يكون عالياً في العاشرة وسبع عشرة
دقيقة . »

قال أحدهم : « لكن بإمكانهم أن يرحلوا الليلة ، فلا حاجة بهم
إلى الانتظار حتى الغد . »

قلت : « لا اعتقد ذلك ؛ فلديهم أساليبهم السرية الخاصة بهم .
ولكن يكونوا في عجلة من أمرهم . إنهم ألمان ، والألمان يفضلون
دائماً العمل وفق خطة . والآن كيف السبيل للحصول على دليل
لحركات المد ؟ »

قال ويتاكر : « إنها فرصة ، ولعلها فرصتنا الوحيدة للإمساك
بهم . »

سأل سير ولتر : « ألا يوجد كتاب عن المد في البحرية ؟ »
أجاب ويتاكر : « بلى ، بالطبع ، ومن الأفضل أن تذهب إلى
هناك فوراً . »

خرجنا إلى البهو ، وقام كبير الخدم بمناولة السادة معاطفهم .

وَرَكِبْنَا سَيَّارَتَيْنِ ، غَيْرَ أَنْ سِيرَ وَلْتَرُ لَمْ يَذْهَبْ مَعَنَا ، وَقَالَ : « إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى شَرْطَةِ اسْكُتْلَنْد يَارْد ، فَقَدْ نَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ رِجَالِ مَاك غَلِيْقَرَاي . »

وَوَصَلْنَا إِلَى مَقَرِّ الْبَحْرِيَّةِ ، وَسَرْنَا وَرَاءَ وَيتَاكَرُ خِلَالَ غُرْفٍ مُتَعَدِّدَةٍ خَاوِيَةٍ ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى غُرْفَةِ الْخَرَائِطِ ، وَهُنَاكَ عَشْرَ عَلَى كِتَابِ الْمَدِّ وَنَاوَلَهُ لِي ، وَجَلَسْتُ إِلَى أَحَدِ الْمَكَاتِبِ وَوَقَفَ الْبَاقُونَ حَوْلِي .

وَكَانَتْ الْمُهْمَةُ شَاقَّةً بِالنِّسْبَةِ لِأَيِّ وَاحِدٍ مِنَّا ، فَثَمَّةُ مِثَالٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِي الْكِتَابِ ، وَالْمَدُّ يَكُونُ عَالِيًا فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ وَسَبْعَ عَشْرَةَ دَقِيقَةً فِي أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ مَكَانًا .

وَوَضَعْتُ الْكِتَابَ وَبَدَأْتُ أَفَكِّرُ فِي الدَّرَجَاتِ ، وَقُلْتُ : « إِنَّا نَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ ، يُرْجَحُ أَنْ تَوْجَدَ فِيهِ مَجْمُوعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنَ الدَّرَجَاتِ . لَكِنَّ الْمَجْمُوعَةَ الَّتِي تُهْمُنَا ، هِيَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى تِسْعَ وَثَلَاثِينَ دَرَجَةً . »

وَأَضَافَ رَوِيهِ : « كَمَا أَنَّ الْمَدِّ مُهِمٌّ أَيْضًا . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْمَكَانُ مِينَاءَ صَغِيرًا . إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادَ لَنْ يُحَاوِلُوا الْهَرَبَ فِي سَفِينَةٍ كَبِيرَةٍ ، بَلِ الْمَرْجَحُ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا يَخْتًا أَوْ قَارِبَ

صَيْدٍ . »

قُلْتُ : « ذَلِكَ مُحْتَمَلٌ جِدًّا ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَلَّا يَكُونَ الْمَكَانُ مِينَاءَ صَغِيرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَهَؤُلَاءِ الْجَوَاسِيسُ كَانُوا فِي لَنْدَنَ ، وَهُمْ الْآنَ يُرِيدُونَ الذَّهَابَ إِلَى أَلْمَانِيَا ؛ لِذَا فَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يُغَادِرُوا الْبِلَادَ مِنْ مَكَانٍ مَا عَلَى السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ . »

وَالْتَقَطْتُ قُصَاصَةً مِنَ الْوَرَقِ وَدَوَنْتُ بِهَا تَصَوُّرَاتِنَا :

(١) بِالْمَكَانِ مَجْمُوعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنَ الدَّرَجَاتِ ، وَالْمَجْمُوعَةُ الْمُهْمَةُ هِيَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى تِسْعَ وَثَلَاثِينَ دَرَجَةً .

(٢) الْمَدُّ الْعَالِي يَحْدُثُ فِي الْعَاشِرَةِ وَسَبْعَ عَشْرَةَ دَقِيقَةً ، وَالْمَدُّ ضَرُورِيٌّ لِإِقْلَاعِ الْقَوَارِبِ .

(٣) بِالْمَكَانِ مِينَاءَ صَغِيرٍ ، أَوْ رُبَّمَا يَكُونُ جُزْءًا مِنْ سَاحِلٍ مَفْتُوحٍ .

(٤) قَدْ يَسْتَعْمِلُ الْأَلْمَانُ يَخْتًا أَوْ قَارِبَ صَيْدٍ .

ثُمَّ اسْتَنْتَجْتُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ أُخْرَى وَدَوَنْتُهَا :

(١) قَدْ لَا تَكُونُ الدَّرَجَاتُ جُزْءًا مِنَ الْمِينَاءِ .

(٢) أَنَّهُ مَكَانٌ هَادِيٌّ تَمَامًا .

(٣) يَقَعُ الْمَكَانُ عَلَى السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ بَيْنَ كَرُومِرَ وَ دُوفِرَ .

مَعَ مُرَاعَاةِ الْبَحْثِ عَنْ يَخْتِ أَجْنَبِيٍّ .

وَدَخَلَ سِيرَ وَلْتَرِ عُرْفَةَ الْخَرَائِطِ يَتَّبِعُهُ مَاكُ غَلِيْفَرَايِ الَّذِي قَالَ :
« إِنَّ الشُّرْطَةَ تُرَاقِبُ الْمَوَائِيَّ وَمَحْطَاتِ السُّكَّكِ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَلَكِنْ لَنْ
يَكُونَ الْأَمْرُ سَهْلًا بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ ، فَهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ رَجُلٍ بَدِينِ ، وَآخَرَ
نَحِيفٍ وَثَالِثٍ عَجُوزٍ . »

وَعَرَّضْتُ وَرَقَّتِي عَلَى سِيرِ وَلْتَرِ قَائِلًا : « هَذِهِ تَصَوُّرَاتُنَا ، غَيْرَ أَنَّنَا
سَنَحْتَاجُ إِلَى شَخْصٍ يُسَاعِدُنَا . ثُمَّ التَفَتْتُ إِلَى وِيتَاكَرَ وَسَأَلْتُهُ :
« هَلْ يَوْجَدُ رَئِيسٌ لِحَفَرِ السَّوَاكِحِلِ عَلَى الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ ؟ »

أَجَابَ : « لَا أَعْلَمُ ، وَلَكِنْ لَدَيْنَا مُفْتَشٌّ لِحَفَرِ السَّوَاكِحِلِ فِي
لَنْدَنَ . وَهُوَ يَسْكُنُ فِي كَلَاپَامَ وَيَعْرِفُ السَّاحِلَ الشَّرْقِيَّ تَمَامَ
الْمَعْرِفَةِ . »

سَأَلْتُهُ : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى هُنَا ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ . وَسَأَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِهِ . »

كَانَ الْوَقْتُ مُتَأَخِّرًا عِنْدَمَا عَادَ وِيتَاكَرَ وَمَعَهُ الْمُفْتَشُّ . وَكَانَ رَجُلًا
عَجُوزًا لَطِيفًا وَمُؤَدَّبًا جِدًّا .

وَفِي الْبِدَايَةِ تَحَدَّثَ إِلَيْهِ سِيرَ آرْتِرُ دَرُو . قَالَ : « إِنَّنَا نَبْحَثُ عَنْ
مَكَانٍ عَلَى السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ حَيْثُ تَوْجَدُ بِهِ مَجْمُوعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ
الدَّرَجَاتِ . وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنَّ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ تُؤَدِّي إِلَى الشَّاطِئِ ،
فَهَلْ تَعْرِفُ مَكَانًا عَلَى هَذَا النُّحُو ؟ »

قَالَ : « فِي الْحَقِيقَةِ يَا سَيِّدِي ، لَا أَعْرِفُ ، لَكِنْ تَوْجَدُ فِي
مِنْطَقَةِ بَرَاتِلْشَامَ فِي نُورْفُوكِ دَرَجَاتٌ يَسْتَعْمِلُهَا الصَّيَّادُونَ فَقَطُّ . »
قُلْتُ : « لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْمَكَانُ . »

قَالَ : « هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنْ أَمَاكِنَ قَضَاءِ الْإِجَازَاتِ ، وَعَادَةً مَا
يَكُونُ بِهَا دَرَجَاتٌ قَلِيلَةٌ . »

قُلْتُ : « كَلَّا ؛ فَاَلْمَكَانُ الَّذِي نَقْصِدُهُ مَكَانٌ هَادِيٌّ جِدًّا . »

قَالَ : « إِذَا فَأَنَا آسِفٌ إِلَيْهَا السَّادَّةُ ؛ فَأَنَا لَا أَدْرِي ، لَكِنْ ثَمَّةُ
مِنْطَقَةٌ تُسَمَّى رَفَ . »

قُلْتُ لَهُ : « صِفْهَا لِي . »

قال : « إنها منطقة مُرتفعة عن الأرض ، على ساحل كنت بالقرب من برادغيت ، حيث توجد منازل فخمة فوق القمة ، وبعضها له درجات تؤدي إلى الشاطئ . إنها شواطئ خاصة بالطبع . »

سألته : « ماذا تعني بذلك ؟ »

قال : « أعني يا سيدي ، أن الناس الذين يمتلكون هذه المنازل ، يمتلكون الجزء المقابل لها على الشاطئ . فعندما تشتري منزلاً هناك تحصل على جزء خاص من الشاطئ المقابل للبيت . »

تناولت كتاب المد ، وبحثت عن منطقة برادغيت ، فوجدت أن المد العالي يحدث في الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة يوم ١٥ يونيو (حزيران) .

سألت المفتش : « كيف يمكنني أن أعرف وقت المد العالي في منطقة رف ؟ »

قال : « أنا أعرف ذلك ، يا سيدي ، فقد قضيت فترة هناك في شهر يونيو . ويحل المد هناك قبل حلوله في برادغيت بعشر دقائق . »

وأغلقت الكتاب وتطلعت حولي .

ثم قلت : « سير ولتر ، هل لي أن أستعير سيارتك وخريطة للطريق في كنت ؟ وأود أن يصحبني بعض رجالك أيضاً يا ماك غليفراي ، فقد نفاجئ أولئك الألمان غداً صباحاً . »

ولم يردوا عليّ للحظة ، فأنا لا أعمل في وزارة الخارجية أو البحرية ، وكنت كذلك في الجيش البريطاني . ولكنني كنت شاباً وقوياً ، وقابلت أولئك الجواسيس من قبل .

وكان رويه أول من تكلم ، فقال : « يسعدني تماماً أن أعهد بهذا الموضوع إلى السيد هنائي . »

قال سير ولتر : « أجل ، أجل ، وأنا أرى ذلك أيضاً . » وأوماً بالموافقة إلى ماك غليفراي .

وبعد مضي نصف الساعة كنت أقود السيارة بسرعة خلال قري مقاطعة كنت ، وكان يجلس إلى جوارى أفضل ضابط من ضباط ماك غليفراي . وكانت الساعة الثالثة والنصف صباحاً .

الفصل العاشر

المنزل المواجه للبحر

نَزَلْنَا بِفُنْدُقٍ غَرِيفِينَ فِي بَرَادُغِيَتٍ . وَفِي السَّابِعَةِ صَبَاحًا كُنْتُ
أُتْلَعُ مِنْ نَافِذَةِ الْفُنْدُقِ . وَكَانَ يَوْمًا جَمِيلًا .

وَكَانَ ثَمَّةَ رَجُلٍ يَصْطَادُ السَّمَكَ عِنْدَ الْمِينَاءِ ، وَتَدَكَّرْتُ حِكَايَةَ
رُؤْيَاهُ عَنِ الْأَسَدِ .

وَوَصَلْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَفِينَةً حَرْبِيَّةً صَغِيرَةً ، وَرَسْتُ جَنُوبَ
الْمِينَاءِ ، فَتَنَادَيْتُ الضَّابِطَ وَسَأَلْتُهُ : « أَيُّهَا الضَّابِطُ اسْكُفِ ، هَلْ
تَعْرِفُ هَذِهِ السَّفِينَةَ ؟ لَعَلَّ وَيتَاكَرَّ هُوَ الَّذِي أُرْسَلَهَا إِلَى هُنَا . »

أَجَابَ : « لَا أَظُنُّ ذَلِكَ . إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ دَائِمًا فِي ذَلِكَ الْجَزَاءِ مِنَ
السَّاحِلِ . » وَذَكَرَ لِي اسْمَهَا وَاسْمَ رَبَّانِيهَا ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَكْتَبِ

التَّليْفُونِ ، وَأُرْسَلْتُ بِرَقِيَّةٍ يَخْصُوصِهَا إِلَى سِيرٍ وَلْتَرِ .

وَبَعْدَ الْإِفْطَارِ سِرْتُ وَاسْكُفِ بِمُحَاذَاةِ الشَّاطِئِ ، وَاتَّجَهْنَا نَاحِيَةَ
السَّلَالِمِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَنَظِقَةِ رَفٍ ، وَتَوَقَّفْنَا عَلَى بُعْدِ كِيلُو مِثْرٍ
تَقْرِيبًا .

قُلْتُ : « لَنْ أَكْمِلَ السَّيْرَ مَعَكَ ، فَهَؤُلَاءِ الرُّجَالُ يَعْرِفُونَنِي
جَيِّدًا . سَأَنْتَظِرُ هُنَا ، وَأَذْهَبُ أَنْتَ وَقُمْ بَعْدَ الدَّرَجَاتِ كُلِّهَا . »

وَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُ خَلْفَ صَخْرَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى الشَّاطِئِ أَحَدٌ ،
وَكَانَتِ السَّاعَةُ الْعَاشِرَةُ عِنْدَمَا عَادَ اسْكُفِ .

قَالَ : « هُنَاكَ سِتُّ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ الدَّرَجِ ، وَتَوْدِي إِلَى سِتَّةِ
مَنَازِلَ مُخْتَلِفَةٍ . » وَأَخْرَجَ قِطْعَةً وَرَقٍ مِنْ جَيْبِهِ وَقَرَأَهَا : « أَرْبَعٌ
وِثْلَاثُونَ ، خَمْسٌ وَثْلَاثُونَ ، تِسْعٌ وَثْلَاثُونَ ، اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ ، سَبْعٌ
وَأَرْبَعُونَ ، إِحْدَى وَعِشْرُونَ . »

شَعَرْتُ بِسَعَادَةٍ بِالْغَةِ حَتَّى إِنَّنِي قَفَزْتُ وَاقِفًا وَأَنَا أَصِيحُ !

وَعَدْنَا مُسْرِعَيْنِ إِلَى بَرَادُغِيَتٍ ، وَأُرْسَلْنَا بِرَقِيَّةٍ إِلَى مَاكٍ غَلِيْقَرَايَ ،
وَكَنْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى سِتَّةِ رِجَالٍ أَشِدَّاءَ ، عَلَى أَنْ يُقِيمُوا فِي عِدَّةِ
فَنَادِقٍ مُخْتَلِفَةٍ بِالْمَدِينَةِ .

قُلْتُ لَاسْكِيْفَ : « عُدِ الْآنَ إِلَى الْمَنْزِلِ ذِي التَّسْعِ وَالثَّلَاثَيْنِ
دَرَجَةً ، وَأَلْقِ نَظْرَةً عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْ إِلَى مَكْتَبِ الْبَرِيدِ ، وَاسْتَعْلِمْ
عَمَّنْ يَسْكُنُ فِيهِ . »

وَعَادَ وَمَعَهُ بَعْضُ الْحَقَائِقِ الْغَرِيبَةِ ، وَلَكِنَّهَا مُثِيرَةٌ لِلْاهْتِمَامِ ؛
فَالْمَنْزِلُ مَعْرُوفٌ بِاسْمِ تَرَاغُلْغَارِ لُودْجَ ، وَيَمْلِكُهُ رَجُلٌ عَجُوزٌ اسْمُهُ
أَبِلْتُونُ ، وَغَالِبًا مَا كَانَ أَبِلْتُونُ هَذَا يَقْضِي أَشْهُرَ الصَّيْفِ فِيهِ . وَلَقَدْ
وَصَلَ مِنْذُ أَسْبُوعٍ وَلَا يَزَالُ مُقِيمًا فِيهِ ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ عَنْهُ الْكَثِيرَ ،
وَلَكِنَّهُ كَانَ يَبْدُو لَطِيفًا هَادِئًا .

وَاخْتَلَقَ اسْكِيْفُ بَعْضَ الْأَسْبَابِ لِرِيبَارَةِ الْمَنْزِلِ ، فَلَا حَظَّ هُنَاكَ
وُجُودَ ثَلَاثِ سَيِّدَاتٍ .

قَالَ : « إِنَّهُنَّ يُشْرِفْنَ عَلَى الْمَنْزِلِ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُنَّ الْأَمَانِيَّاتِ ،
فَهُنَّ يَتَحَدَّثْنَ كَثِيرًا جِدًّا عَنْ إِشْرَافِهِنَّ عَلَى الْمَنْزِلِ . »

سَأَلْتُهُ : « هَلْ لَاحَظْتَ الْمَنَازِلَ الْمُجَاوِرَةَ لِهَذَا الْمَنْزِلِ عَلَى كِلَا
الْجَانِبَيْنِ ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، الْمَنْزِلُ الْأَيْمَنُ خَالٍ مِنَ السُّكَّانِ ، أَمَّا الْمَنْزِلُ
الْأَيْسَرُ فَلَا يَزَالُ فِي مَرَحَلَةِ الْبِنَاءِ . »

وَقَبْلَ الْغَدَاءِ سِرْتُ وَخَدِي فِي مِئْطَقَةِ رَفٍ ، وَمَعِيَ تِلْسُكُوبُ
(مِقْرَابُ) اسْكِيْفِ . وَوَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ هَادِئٍ بَعِيدٍ عَنِ الْمَنَازِلِ
وَجَلَسْتُ فِيهِ ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى الْمَنْزِلَ بِوُضُوحٍ تَامٍ مِنْ خِلَالِ
التِّلْسُكُوبِ . وَكَانَ مَبْنِيًّا مِنَ الْحِجَارَةِ الْحُمْرَاءِ ، وَلَهُ نَوَافِذُ عَرِيضَةٌ ،
وَتَحِيطُ بِهِ حَدِيقَةٌ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ ، وَكَانَ الْعَلَمُ الْبَرِيطَانِيُّ يُرْفَرُ
فَوْقَ سَارِيَةٍ عَالِيَةٍ أَمَامَهُ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا يُغَادِرُ الْمَنْزِلَ مُتَّجِهًا نَاحِيَةَ قِمَّةِ التَّلِّ ، وَكَانَ رَجُلًا
عَجُوزًا يَرْتَدِي بَنْطَلُونًا أَبْيَضَ وَمِعْطَفًا أَزْرَقَ ، وَيَحْمِلُ تِلْسُكُوبًا أَيْضًا ،
وَتَحْتَ ذِرَاعِهِ صَحِيفَةٌ . وَسَارَ حَوَالِي مِئَةٍ وَخَمْسِينَ مِثْرًا ، ثُمَّ جَلَسَ
عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ لِيَقْرَأَ الصَّحِيفَةَ . وَبَعْدَ عِدَّةِ دَقَائِقَ وَضَعَ الصَّحِيفَةَ
جَانِبًا ، وَرَاحَ يُرَاقِبُ السَّفِينَةَ الْحَرَبِيَّةَ مِنْ خِلَالِ التِّلْسُكُوبِ فَتَرَةً
طَوِيلَةً ، وَأَخَذَتْ أَرَاقِبُهُ نِصْفَ سَاعَةٍ . وَبَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَ وَعَادَ إِلَى
الْمَنْزِلِ ، وَعُدْتُ أَنَا إِلَى الْفُنْدُقِ .



وَلَمْ أَكُنْ مُطْمَئِنًّا لِهَذَا الْعَجُوزِ ، فَهَوَّ لَا يَبْدُو مِثْلَ جَاسُوسٍ ،
وَلَكِنْ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ هُوَ ذَلِكَ الْعَجُوزَ الَّذِي كَانَ مُوجُودًا فِي
الْمُزْرَعَةِ الاسْكُتْلَنْدِيَّةِ .

وَبَعْدَ الظُّهْرِ حَدَثَ شَيْءٌ مُثِيرٌ لِلْاهْتِمَامِ ، فَقَدْ وَصَلَ يَخْتُ مِنْ
جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَرَسَا بِالقُرْبِ مِنْ مَنَاطِقَةِ رَفٍ ، وَكَانَتْ حُمُولَتُهُ
حَوَالِي مِئَةِ وَخَمْسِينَ طَنًا ، وَكَانَ يُرْفَرُ عَلَيْهِ الْعَلَمُ الْبَرِيطَانِي .
وَذَهَبْتُ أَنَا وَاسْكِيْفُ نَاحِيَةِ الْمِينَاءِ ، وَتَحَدَّثْنَا إِلَى حَارِسِ السَّاحِلِ
هُنَاكَ ، وَأَخْبَرَنَا بِرَعِيَّتِنَا فِي صَيْدِ السَّمَكِ ؛ فَأَحْضَرَ لَنَا قَارِبًا ،
وَأَبْحَرْنَا خَارِجَ الْمِينَاءِ .

وَاصْطَدْنَا حَوَالِي عَشْرَةِ كِيلُو غَرَامَاتٍ مِنَ السَّمَكِ خِلَالَ فِتْرَةٍ مَا
بَعْدَ الظُّهْرِ تِلْكَ . وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ اقْتَرَبْنَا مِنَ الْيَخْتِ ،
الَّذِي بَدَأَ وَكَانَهُ طَائِرٌ أَبْيَضٌ رَائِعٌ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ .

قَالَ اسْكِيْفُ : « إِنَّهُ يَخْتُ سَرِيعٌ ، وَعَلَى مَنْ يَرِغَبُ فِي السَّفَرِ
بِسُرْعَةٍ ، أَنْ يَرْكَبَ هَذَا الْيَخْتَ ، فَمَحَرَّكَانَهُ قُوَّةٌ لِلْغَايَةِ . »

وَكَانَ اسْمُ الْيَخْتِ أَرِيَادَنِي . وَتَبَادَلْنَا الْحَدِيثَ مَعَ بَعْضِ الرُّجَالِ
الْمُوجُودِينَ عَلَى سَطْحِهِ ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمْ إِنْجِلِيزٌ . ثُمَّ ظَهَرَ

ضَابِطٌ ؛ فَتَوَقَّفَ الرُّجَالُ عَنِ الْكَلَامِ . وَكَانَ الضَّابِطُ شَابًّا ذَا وَجْهِ
مُشْرِقٍ ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ بِطَلَاقَةٍ ، وَلَكِنَّا كُنَّا مُوقِنِينَ مِنْ
أَنَّهُ لَيْسَ إِنْجِلِيزِيًّا ؛ لِأَنَّ شَعْرَهُ كَانَ قَصِيرًا جِدًّا ، وَكَانَتْ مَلَابِسُهُ تَبْدُو
أَجْنِبِيَّةً تَمَامًا .

وَفِي الْمَسَاءِ قَابِلْتُ رَبَّانَ السَّفِينَةِ الْحَرِيَّةِ فِي الْفُنْدُقِ ، وَقُلْتُ لَهُ :
« رَبُّمَا نَحْتَاجُ إِلَى سَفِينَتِكَ اللَّيْلَةَ أَوْ غَدًا . هَلْ حَصَلَتْ عَلَيَّ
مَعْلُومَاتٌ جَدِيدَةٌ . »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي ؛ فَقَدْ وَصَلَتْنَا بِرَقِيَّةٌ مِنْ قِيَادَةِ الْبَحْرِيَّةِ ،
وَسَاقَتْ رَبُّ بِهَا عِنْدَمَا يَحُلُّ الظَّلَامُ . وَأَنَا أَعْرِفُ مَا يَنْبَغِي عَلَيَّ عَمَلُهُ . »

وَبَعْدَ سَاعَةٍ تَقْرِيْبًا عُدْتُ ثَانِيَةً إِلَى قِمَّةِ التَّلِّ نَاحِيَةَ مَنْزِلِ تَرَاغْلَارِ
لُودْجِ . وَكَانَ الْعَجُوزُ مَعَ شَابٍّ يَمِيلُ إِلَى الْبَدَانَةِ يَلْبَسَانِ التَّنِيسَ فِي
الْحَدِيقَةِ . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَرَاقِبُهُمَا جَاءَتْ إِحْدَى السَّيِّدَاتِ ، وَمَعَهَا
زُجَاجَاتٌ وَأَكْوَابٌ ، وَتَنَاوَلَهَا الشَّابُّ مِنْهَا .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « يَبْدُو أَنَّهُ لَا عُبَارَ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّاسِ ، فَهَمْ
مُخْتَلِفُونَ تَمَامًا عَنْ أَوْلَئِكَ الرُّجَالِ الْمُزْعَجِينَ فِي اسْكُتْلَنْدَا ، وَلَعَلِّي
أَخْطَأْتُ . »

بَعْدَ ذَلِكَ وَصَلَ رَجُلٌ آخَرٌ إِلَى الْمَنْزِلِ رَاكِبًا دَرَاجَةً ، وَكَانَ نَحِيفًا
صَغِيرَ السِّنِّ أَسْوَدَ الشَّعْرِ . وَفَرَعَ الرَّجُلَانِ مِنْ مُبَارَاةِ التَّنِيسِ ، وَدَخَلَ
الْجَمِيعُ الْمَنْزِلَ .

وَسِرْتُ بِبُطْءٍ عَائِدًا إِلَى الْفُنْدُقِ . تَرَى هَلْ كُنْتُ مُخْطِئًا فِي حَقِّ
هَؤُلَاءِ النَّاسِ ؟ هَلْ كَانُوا يُمَثِّلُونَ حِينَمَا كُنْتُ أُرَاقِبُهُمْ ؟ لَكِنَّهُمْ لَمْ
يَكُونُوا عَلَى دِرَايَةٍ بِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُرَاقِبُهُمْ ، وَكَانُوا يَتَصَرَّفُونَ مِثْلَ
الْمُوَاطِنِينَ الْإِنْجِلِيزِ .

وَلَكِنْ ثَمَّةُ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ : الْعَجُوزُ ، وَالْبَدِينُ ،
وَالنَّحِيفُ الْأَسْوَدُ الشَّعْرِ . وَتَتَّفَقُ أَوْصَافُ الْمَنْزِلِ تَمَامًا مَعَ مَا جَاءَ فِي
مُفَكَّرَةِ اسْكَدَر . وَثَمَّةُ يَخْتِ بِرَسُو عَلَى بَعْدِ كِيلُو مِثْرٍ تَقْرِيْبًا ، وَعَلَى
سَطْحِهِ ضَاطِبٌ أَجْنَبِيٌّ . وَفَكَّرْتُ فِي كَارُولِيدِسَ وَخَطَرِ الْحَرْبِ ،
وَتَذَكَّرْتُ خَوْفَ سِيرِ آرْتِرِ دَرُو الَّذِي ارْتَسَمَ عَلَى وَجْهِهِ .

وَكُنْتُ أَعْرِفُ مَا يَنْبَغِي عَلَيَّ عَمَلُهُ . كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَوَجَّهَ إِلَى
ذَلِكَ الْمَنْزِلِ ، وَأَقْبِضَ عَلَى هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ . وَإِذَا كُنْتُ مُخْطِئًا ، فَإِنَّ
الْيَوْمَ يَقَعُ عَلَيَّ عَاتِقِي وَحْدِي . وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ رَاضِيًا عَنِ الْمُهْمَةِ .

وَفَجَّاءَ تَذَكَّرْتُ صَدِيقِي بِيْتَرِ بِيَانَارِ الرُّودِيسِيِّ ، وَكَانَ مِنَ
الْخَارَجِينَ عَلَى الْقَانُونِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ شُرْطِيًّا . وَفِي الْحَقِيقَةِ قَبِلْتُ

الشُّرْطَةَ لِهَذَا السَّبَبِ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا ؛ فَهُوَ يَعْرِفُ أَعْتَى الْمُجْرِمِينَ فِي
الْبَلَدِ كُلِّهِ . وَحَكَى لِي ذَاتَ مَرَّةٍ أَنَّهُ هَرَبَ بِسَهُولَةٍ جِدًّا مِنَ الشُّرْطَةِ ؛
فَقَدْ تَخَفَى فِي زِيٍّ أَسْوَدَ ، وَجَلَسَ فِي مُنْتَدَى أَدِيبِيٍّ بِجَوَارِ ضَاطِبِ
شُرْطَةٍ ، وَبَادَلَهُ الْحَدِيثَ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ عَلَيْهِ الضَّاطِبُ .

وَسَأَلْتُهُ عَنْ سِرِّ عَدَمِ تَعْرِفِ الضَّاطِبِ عَلَيْهِ ، فَأَجَابَ : « لَأَنَّ الْمَكَانَ
وَمَلَابِسِي مُخْتَلِفَانِ . فَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَعْرِفَنِي لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ فِي
الشَّارِعِ أَوْ فِي فُنْدُقٍ مَثَلًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ أَنَّنِي قَدْ أَذْهَبْتُ إِلَى مِثْلِ
هَذَا الْمَكَانِ ، أَوْ أَنَّ ارْتَدَيْتُ مُعْطَفًا أَسْوَدَ طَوِيلًا . »

جَعَلْتَنِي هَذِهِ الْأَفْكَارُ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى يَقِينٍ تَامٍّ بِأَنَّ أَعْدَاءَنَا
الْأَلْمَانَ دَوُو حِكْمَةٍ مِثْلُ بِيْتَرِ ؛ فَهُمْ يَعِيشُونَ فِي بَيْتٍ إِنْجِلِيزِيٍّ ،
وَتَحْتَ رَايَةِ إِنْجِلِيزِيَّةٍ تُرْفَرُ فِي الْحَدِيقَةِ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ أَسْمَاءَ
إِنْجِلِيزِيَّةٍ ، وَيَلْعَبُونَ أَلْعَابًا إِنْجِلِيزِيَّةً ، وَحَيَاتُهُمْ الْخَاصَّةُ إِنْجِلِيزِيَّةٌ تَمَامًا ؛
وَهَكَذَا لَمْ يَشُكْ فِيهِمْ أَحَدٌ .

كَانَتْ السَّاعَةُ آنَذَاكَ الثَّامِنَةُ مَسَاءً ، حِينَمَا قَابَلْتُ اسْكِيْفَ فِي
الْفُنْدُقِ ، وَأَعْطَيْتُهُ الْأَوَامِرَ .

قُلْتُ لَهُ : « ضَعْ رَجُلَيْنِ فِي الْحَدِيقَةِ ، وَاجْعَلْ ثَلَاثَةَ آخَرِينَ

يَحْتَبِثُونَ بِجِوَارِ النَّافِذَةِ . وَعِنْدَمَا أَرِيدُكَ سَأُنَادِيكَ .»

سَأَلْتَنِي السَّيِّدَةُ : « مَا اسْمُكَ يَا سَيِّدِي ؟ »

أَجَبْتُ : « هَنَّا . رِيْتَشَارْد هَنَّا . »

ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ إِلَى عَرَقَةٍ مَا ، ثُمَّ نَادَتْنِي ، فَتَبِعْتَهَا عَلَى الْفَوْرِ ، وَلَكِنِّي وَصَلْتُ مُتَأَخِّرًا ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ لَدَى الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ فُرْصَةً لِإخْفَاءِ دَهْشَتِهِمْ .

كَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ وَاقِفًا ، وَكَانَ يَرْتَدِي هُوَ وَالرَّجُلُ الْبَدِينُ مَلَابِسَ السَّهَرَةِ . أَمَّا الرَّجُلُ الْآخَرُ فَكَانَ يَرْتَدِي حُلَّةَ زُرْقَاءَ .

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « سَيِّدُ هَنَّا ! إِنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَتَحَدَّثَ إِلَيَّ ، عَلَى مَا أَعْتَقِدُ . يَا ذَنْكُمَا يَا زَمِيلَيَّ . تَفْضَلُ ، يَا سَيِّدُ هَنَّا ، إِلَى الْحَجَرَةِ الْمُجَاوِرَةِ . »

سَحَبْتُ مَقْعَدًا نَاحِيَتِي وَجَلَسْتُ قَائِلًا : « لَقَدْ تَقَابَلْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ مُهِمَّتِي . »

لَمْ يَكُنِ الضَّوُّ مُبْهِرًا فِي الْحَجَرَةِ ، إِلَّا أَنَّنِي لَاحِظْتُ أَنَّ الدَّهْشَةَ بَدَتْ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا .

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنَّنَا تَقَابَلْنَا ، لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ تَذَكُّرُ ذَلِكَ . أَنَا آسِفٌ لِأَنَّنِي لَا أَعْرِفُ مُهِمَّتَكَ ، يَا سَيِّدِي ،

لَمْ أَكُنْ جَائِعًا ؛ لِذَا خَرَجْتُ أَتَمَشَّى ، فَلَاحِظْتُ الْأَضْوَاءَ تَتَّبِعُ مِنَ الْيَخْتِ أَرِيَادُنِي وَالسَّفِينَةَ الْحَرَبِيَّةَ . وَجَلَسْتُ عَلَى مَقْعَدٍ وَانْتَظَرْتُ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ .

فِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ تَوَجَّهْتُ إِلَى تَرَاغُلَار لُودْج ، وَكَانَ رِجَالُ اسْكِيْف فِي مَوَاقِعِهِمْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْهُمْ . وَكَانَتِ الْأَضْوَاءُ تَتَّبِعُ مِنَ الْمَنْزِلِ ، وَالنَّوَافِذُ مَفْتُوحَةً . وَدَقَّقْتُ الْجَرَسَ ، فَفَتَحَتْ إِحْدَى النِّسَاءِ .

سَأَلْتُهَا : « هَلْ يُمْكِنُنِي التَّحَدُّثُ إِلَى السَّيِّدِ أَيْلَتُون ؟ »

أَجَابَتْ : « نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي ، تَفْضَلُ بِالْدُّخُولِ . »

كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُ خُطَّةً ، تَقْضِي بِأَنْ أَدْخُلَ مُبَاشَرَةً الْمَنْزِلَ وَأَرَى وُجُوهَ هَؤُلَاءِ الْأَلْمَانِ الثَّلَاثَةِ ، فَإِذَا تَعَرَّفُوا عَلَيَّ فِي الْحَالِ بَدَا ذَلِكَ عَلَى وُجُوهِهِمْ . وَلَكِنِّي عِنْدَمَا دَخَلْتُ لَمْ أَسْتَطِعِ الْحَرَكََةَ ، وَلَاحِظْتُ وُجُودَ قُبُعَاتِهِمْ وَمَعَاظِفِهِمْ وَعَصِيَّيِهِمْ . وَكَانَتْ ثَمَّةُ سَاعَةٍ حَائِطٍ كَبِيرَةٍ فِي أَحَدِ أَرْكَانِ الْبَهْوِ ، وَلَوْحَاتُ إِنْجِلِيزِيَّةٍ مُعَلَّقَةٌ عَلَى الْجُدْرَانِ . وَكَانَ الْمَكَانُ مِثْلَ عَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْبُيُوتِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ .

فَهَلْ تَتَفَضَّلُ وَتُخَيِّرُنِي بِهَا ؟

فَكَرَّرْتُ فِي بَيْتَرِ بِيَانَارَ ، وَقُلْتُ : « هَذِهِ هِيَ النِّهَايَةُ ، أَيُّهَا السَّادَةُ ، فَقَدْ جِئْتُ لِأَلْقِيَ الْقَبْضَ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا . »

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « تَقْبِضُ عَلَيْنَا ! لَكِنْ لِمَاذَا ؟ »

« أَقْبِضْ عَلَيْكُمْ لَارْتِكَابِكُمْ جَرِيمَةَ قَتْلِ فَرَانِكَلِينَ اسْكُدَر فِي لَنْدَنْ ، يَوْمَ ٢٣ مَايو . »

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ ، وَقَدْ بَدَأَ عَلَى صَوْتِهِ الضَّعْفُ الشَّدِيدُ : « أَنَا لَمْ أَسْمَعْ بِذَلِكَ الْإِسْمِ مِنْ قَبْلُ . »

عِنْدَئِذٍ تَكَلَّمَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ ، وَقَالَ : « لَقَدْ قَرَأْتُ عَنْ ذَلِكَ فِي الصُّحُفِ ، وَكَانَ شَيْئًا فَظِيحًا ! وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ عَنْهَا شَيْئًا ، يَا سَيِّدِي ، وَلَكِنْ مَا صِلَتُكَ بِذَلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « أَنَا مِنْ شُرْطَةِ اسْكُتِلَنْدِ يَارْدَ . »

لَمْ يَتَفَوَّهُوا بِكَلِمَةٍ عِنْدَمَا سَمِعُوا ذَلِكَ . وَتَطَلَّعَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَبَدَتْ عَلَيْهِ الْعَصَبِيَّةُ .

عِنْدَئِذٍ تَكَلَّمَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ ، وَقَالَ : « لَا بُدَّ أَنْ ثَمَّةَ خَطَأٍ مَا ،

يَا عَمِّي ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ تَحْدُثُ أحيانًا ، وَلَكِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُنْشِئَ الْحَقِيقَةَ بِسُهُولَةٍ ، فَأَنَا لَمْ أَكُنْ فِي إِنْجِلْتِرَا يَوْمَ ٢٣ مَايو ، وَأَنْتَ ، يَا بوبَ كُنْتُ مَرِيضًا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أَنْتَ يَا عَمِّي ، كُنْتُ فِي لَنْدَنْ ، وَأَنَا أَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَشْرَحَ مُهِمَّتَكَ هُنَاكَ . »

« هَذَا صَحِيحٌ ، يَا بِيرْسِي ! مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ أَنَا يَوْمَ ٢٣ مَايو ؟ آه ، تَذَكَّرْتُ ؛ لَقَدْ جِئْتُ صَبَاحًا مِنْ وُكِنْغَ ، وَتَنَاوَلْتُ الْغَدَاءَ مَعَ شَارْلِي سَيِّمُونزَ ، وَبَعْدَ الظُّهْرِ كُنْتُ فِي غِرَانْتَامِ هَاؤُسَ ، وَبَقِيتُ هُنَاكَ طَوَالَ فِتْرَةِ الْمَسَاءِ . »

وَنَظَرَ إِلَيَّ الرَّجُلُ الْبَدِينُ وَقَالَ : « يُؤَسِّفُنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ فِي خَطَأٍ ، يَا سَيِّدِي ، وَسَوْفَ نُسَاعِدُكَ بِالطَّبْعِ إِذَا كَانَ فِي إِمكانِنَا ذَلِكَ ، فَشُرْطَةُ اسْكُتِلَنْدِ يَارْدَ تَخْطِئُ أحيانًا . »

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « أَجَلُ . وَفِي الْحَقِيقَةِ سَوْفَ نَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ لِمُسَاعَدَتِكَ ، يَا سَيِّدِي ، وَلَكِنْ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ غَلْطَةٌ . »

قَالَ أَحَدُهُمْ : « أَلَنْ تَضْحَكَ نِيْلِي ، عِنْدَمَا تَسْمَعُ بِذَلِكَ !؟ »

« سَتَضْحَكُ بِالطَّبْعِ ! وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَخْبِرَ شَارْلِي بِذَلِكَ أَيْضًا . وَالْآنَ اسْمَعْ ، يَا سَيِّدُ هَنَّا ، أَنَا لَسْتُ غَاضِبًا مِنْكَ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ

تَأْتِ إِلَى الْمَكَانِ الصَّحِيحِ .

لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَمْثِيلًا . وَاقْنَتُ أَنْ مَا أَرَاهُ حَقِيقِي ،
وَأَنْنِي أَخْطَأْتُ ، وَوَدِدْتُ أَنْ أَعْتَدِرَ لَهُمْ ، ثُمَّ أَغَادِرَ الْمَنْزِلَ .

إِنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ كَانَ أَصْلَحَ ، وَالرَّجُلَ الْبَدِينِ كَانَ مُوجُودًا
أَيْضًا ، وَالرَّجُلَ الثَّالِثَ نَحِيفٌ أَسْوَدُ الشَّعْرِ . وَأَمْنَعْتُ النَّظَرَ فِيهِمْ ،
وَتَطَلَّعْتُ إِلَى أَرْجَاءِ الْحُجْرَةِ ، فَلَمْ أَرْ فِيهَا شَيْئًا وَاحِدًا يَبْعَثُ عَلَى
الشَّكِّ ، وَلَمْ أَسْتَطِعِ التَّعَرُّفَ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

سَأَلَنِي الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « أَلَا تَتَّفَقُ مَعِي ، يَا سَيِّدِي ، عَلَى أَنَّكَ
أَخْطَأْتَ الْمَنْزِلَ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ النَّحِيفُ : « إِنَّهَا مَضِيعَةٌ لِلْوَقْتِ . أَتَنْوِي اقْتِيَادَنَا إِلَى
مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ ؟ إِنَّنِي أَعْرِفُ أَنَّكَ تَوَدِّي وَاجِبَكَ ، وَلَكِنَّ هَذَا صَعَبٌ
جِدًّا . »

لَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِ ، وَقَلْتُ فِي نَفْسِي : « آه يَا بَيْتَرِ بِيَانَار ، سَاعِدْنِي ! »

نَهَضَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ قَائِلًا : « رَبُّمَا يَكُونُ السَّيِّدُ هُنَا فِي حَاجَةٍ
إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْوَقْتِ ، فَهِيَ لَيْسَتْ مُشْكِلَةً سَهْلَةً بِالنِّسْبَةِ لَهُ . دَعَوْنَا
نَلْعَبُ الْبَرِيدَ لِمُدَّةٍ نِصْفِ سَاعَةٍ ، هَلْ تَلْعَبُ يَا سَيِّدِي ؟ »

قُلْتُ : « لَا بَأْسَ ، فَلَدَيَّ وَقْتُ طَوِيلٍ ، وَأَنَا أَحِبُّ لَعِبَةَ
الْبَرِيدِ . »

وَانْتَقَلْنَا إِلَى حُجْرَةٍ مُجَاوِرَةٍ وَتَفَحَّصْتُهَا ؛ كَانَ بِهَا كُتُبٌ وَصُحُفٌ
مُلَقَّاةٌ فِي أَتْحَاءِ الْحُجْرَةِ ، وَكَانَتْ أَدَوَاتُ التَّنِيسِ مَحْفُوظَةً فِي دَوْلَابٍ
مَفْتُوحٍ فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ ، وَكَانَ تَلِيسُكُوبُ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ مَوْضُوعًا
أَعْلَى الدَّوْلَابِ .

وَجَلَسْنَا حَوْلَ مَائِدَةِ اللَّعِبِ وَسَطَ الْحُجْرَةِ . وَأَحْضَرَ لِي الشَّابُّ
النَّحِيفُ الْأَسْوَدُ الشَّعْرَ كُوبًا مِنْ عَصِيرِ الْبُرْتَقَالِ ، وَلَعِبْتُ مَعَهُ ضِدًّا
الْآخَرِينَ .

كُنْتُ كَمَنْ يَحْلُمُ ، وَكَانَتْ النَّوَافِدُ مَفْتُوحَةً ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ
أَرَى ضَوْءَ الْقَمَرِ يَسْطَعُ فَوْقَ سَطْحِ مِيَاهِ الْبَحْرِ . وَلَمْ يَكُنِ الرَّجَالُ
الثَّلَاثَةُ خَائِفِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، بَلْ كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ
بَعْضِهِمْ بَعْضًا . أَمَّا قَلْبِي فَكَانَ يَخْفُقُ بِشِدَّةٍ .

وَلَمْ أَحْسِنِ اللَّعِبَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَقَدْ كَانَتْ أَفْكَارِي مُسْتَتَةً
لِلْغَايَةِ ، فَلَمْ أَسْتَطِعِ التَّرْكَيزَ فِي وَرَقِ اللَّعِبِ ؛ إِذْ كَانَتْ شُكُوكِي
فِي أَوْلَئِكَ الرَّجَالِ لَا تَزَالُ قَائِمَةً ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِطَبِيعَةٍ

الحال . وَأَخَذْتُ أَتَطَّلُعُ إِلَى وُجُوهِهِمُ الْمَرَّةَ تِلْوَ الْمَرَّةِ ، وَلَكِنِّي لَمْ
أَتَعْرِفُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْدُ عَلَيْهِمْ أَيُّ اخْتِلَافٍ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ
وَاثِقًا بِأَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ . وَفَكَّرْتُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَقُلْتُ لِنَفْسِي : « آه ،
يَا بَيْتِر ! »

وَفَجْأَةً لَاحَظْتُ شَيْئًا ، فَقَدْ وَضَعَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ أَوْرَاقَ اللَّعِبِ
عَلَى الْمِنْضَدَةِ لِيَتَنَاوَلَ بَعْضَ الْعَصِيرِ ، وَمَالَ بِظَهْرِ مَقْعَدِهِ إِلَى الْخَلْفِ ،
وَأَخَذَ يَحْكُ أَذُنَهُ الْيُمْنَى .

وَتَذَكَّرْتُ - فِي الْحَالِ - الْمَرْعَةَ الْأَسْكُتْلَنْدِيَّةَ ، فَقَدْ كُنْتُ وَاظِمًا
أَمَامَهُ هُنَاكَ ، بَعْدَ أَنْ رَوَيْتُ لَهُ حِكَايَتِي ، وَكَانَ جَالِسًا الْجِلْسَةَ
نَفْسَهَا ، وَكَانَ يَحْكُ أَذُنَهُ كَذَلِكَ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا حَادِثًا بَسِيطًا ،
وَلَكِنِّي تَذَكَّرْتُهُ بِوُضُوحٍ تَامٍ .

وَانْقَشَعَتِ الْغَشَاوَةُ مِنْ أَمَامِ عَيْنِي ، وَبَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ وَاضِحًا مَرَّةً
أُخْرَى ، وَتَعَرَّفْتُ عَلَى الرُّجَالِ الثَّلَاثَةِ فِي الْحَالِ . وَتَبَدَّلَتْ وُجُوهُهُمْ
فَجْأَةً ، وَعَرَفْتُ كُلَّ أَسْرَارِهِمْ .

كَانَ الشَّابُّ الْأَسْوَدُ الشَّعْرُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ اسْكُدِر . وَكُنْتُ لَا أَزَالُ
أَلْعَبُ الْبَرِيدَجَ مَعَهُ ، غَيْرَ أَنَّ نَظْرَاتِ عَيْنِيهِ أَصْبَحَتْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
بَارِدَةً وَقَاسِيَةً .

وَتَبَدَّلَ حَالُ الْبَدِينِ أَيْضًا ، وَلَمْ يَعُدْ ذَا وَجْهِ وَاحِدٍ ، بَلْ أَصْبَحَ لَهُ
مِئَةٌ وَجْهِ ، وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي انْتَحَلَ شَخْصِيَّةَ اللُّوردِ
أَلْوَا اللَّيْلَةَ السَّابِقَةَ .

وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ هُوَ زَعِيمُ الْمُجْرِمِينَ . وَكَانَ
صُلْبًا كَالصَّخْرِ ، هَادِثًا بِلا خَوْفٍ . وَتَذَكَّرْتُ كَلِمَاتِ اسْكُدِر : « لَوْ
رَأَيْتَ عَيْنِيهِ ، يَا هَنَّا ، فَلَنْ تَنْسَاهُمَا أَبَدًا ! » وَكَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا ؛
إِذْ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَنْسَاهُمَا أَبَدًا .

وَوَاصَلْنَا اللَّعِبَ ، وَلَكِنْ قَلْبِي كَانَ مَلِيئًا بِالْكَرَاهِيَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ
عِنْدَمَا تَحَدَّثْتُ إِلَى الرَّجُلِ النَّحِيفِ ؛ تَعَدَّرَ عَلَيَّ أَنْ أَجِيبَهُ .

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « بُوب ! أَنْظِرْ إِلَى السَّاعَةِ . سَيَفُوتُكَ الْقِطَارُ
إِذَا لَمْ تُسْرِعْ . » ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ قَائِلًا : « لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ بُوبُ إِلَيَّ
لِنَدَنِ اللَّيْلَةِ . » وَكَانَ الصَّوْتُ مُزِيْفًا تَمَامًا مِثْلَ وُجُوهِهُمْ .

قُلْتُ : « أَنَا آسِفٌ ؛ إِذْ لَنْ يَعُودَ اللَّيْلَةُ ! »

صَاحَ الشَّابُّ : « لِمَ لَا ؟ يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ ، وَسَأَعْطِيكَ عُنْوَانِي . »

« لَا ! يَجِبُ أَنْ تَبْقَى هُنَا . »

وَلَعَلَّ هَذَا الْمَوْقِفَ أَثَارَهُمْ ؛ فَقَدْ حَاوَلُوا خِدَاعِي ، وَلَكِنْ الْخُدْعَةُ

فَشِلْتُ . وَلَمْ يَعُدْ أَمَامَهُمْ إِلَّا فُرْصَةً وَاحِدَةً فَقَطُّ ، وَقَدْ أَنْتَهَزَهَا
الرَّجُلُ الْعَجُوزُ .

قال : « حَسَنَ ، إقْبِضْ عَلَيَّ أَنَا ، يَا سَيِّدَ هَنَّا ، وَدَعْ ابْنَ أَخِي
يَذْهَبُ . أَيْرُضِيكَ هَذَا ؟ »

صَحَّتْ أُنَادِي اسْكَيْف .

وَفَجْأَةً انْطَفَأَتِ الْأَنْوَارُ فِي الْحَالِ ، وَقَبَضَتْ عَلَيَّ أَذْرَعُ قُوَّةٍ ،
وَعَجَزْتُ عَنْ الْحَرَكَةِ .

وَصَاحَ صَوْتُ بِالْأَلْمَانِيَّةِ : « بِسُرْعَةٍ ، يَا فَرَانز ، إِلَى الْقَارِبِ ! إِلَى
الْقَارِبِ ! »

وَنَظَرْتُ مِنَ النَّافِذَةِ ، فَرَأَيْتُ اثْنَيْنِ مِنْ رِجَالِ الشُّرْطَةِ يَجْرِيَانِ عَبْرَ
الْحَدِيقَةِ . وَقفَزَ الشَّابُّ النَّحِيفُ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يَجْرِي صَوْبَ
الدَّرَجَاتِ . وَفَجْأَةً امْتَلَأَتِ الْحُجْرَةُ بِالرِّجَالِ ، وَأَطْلَقَ سَرَاحِي .
وَقَبَضْتُ عَلَى الْعَجُوزِ وَشَلَلْتُ حَرَكَتَهُ ، وَانْقَضَ اسْكَيْفُ وَشُرْطِي آخَرُ
عَلَى الرَّجُلِ الْبَدِينِ ، وَأُضِيتِ الْأَنْوَارُ .

وَنَظَرْنَا مِنَ النَّافِذَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَرَأَيْنَا فَرَانزَ قَدْ وَصَلَ إِلَى الدَّرَجَاتِ
قَبْلَ الشُّرْطِيِّينَ ، وَفَتَحَ الْبَوَابَةَ الَّتِي انْغَلَقَتْ خَلْفَهُ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ

الشُّرْطِيَّانِ أَنْ يَتَّبِعَاهُ . وَانْتَظَرْنَا عِدَّةَ دَقَائِقَ .

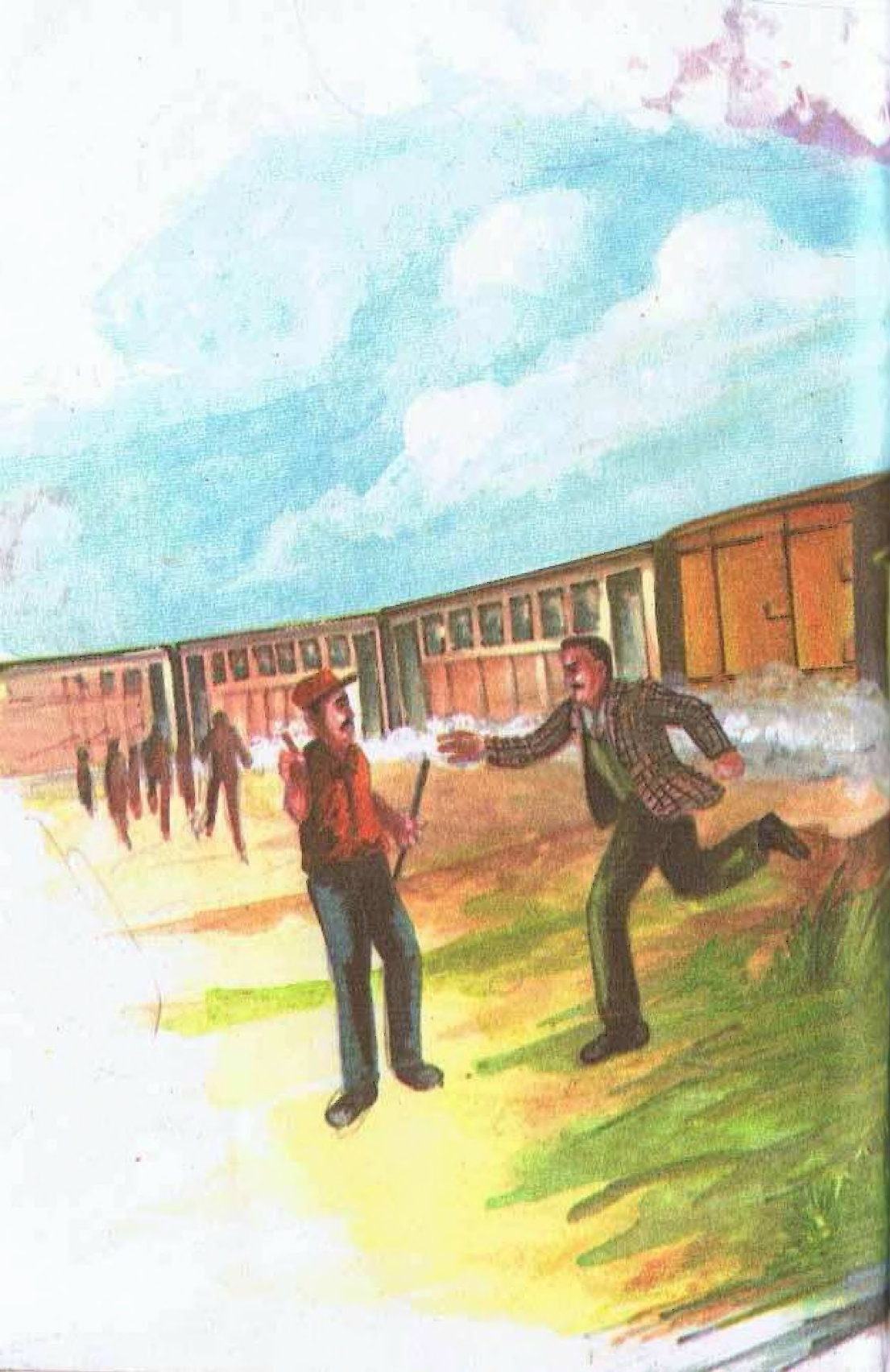
وَفَجْأَةً أَقْلَتَ مِنِّي الرَّجُلُ الْعَجُوزُ ، وَأَنْدَفَعَ نَاحِيَةَ الْحَائِطِ ، وَضَغَطَ
عَلَى زُرٍّ صَغِيرٍ ، فَارْتَفَعَ دَوِيُّ هَائِلٍ خَلْفَ الْمَنْزِلِ ، وَتَطَايَرَتِ
الدَّرَجَاتُ فِي الْهَوَاءِ وَسَطَ سَحَابَةٍ مِنَ الْغُبَارِ .

صَحَّتْ : « دِينَامَيْت ! لَقَدْ دَمَّرُوا الدَّرَجَاتِ ! »

وَكَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَضْحَكُ . وَلَمَعَ فِي عَيْنَيْهِ بَرِيقٌ
مُخِيفٌ ، وَصَاحَ قَائِلًا : « إِنَّهُ فِي أَمَانٍ ، لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَّبِعَهُ ، لَقَدْ
ذَهَبَ ، لَقَدْ فَازَ . » وَرَدَّدَ كَلَامَهُ بِالْأَلْمَانِيَّةِ .

وَأَمْسَكَ اثْنَانِ مِنَ الضُّبَّاطِ بِالرَّجُلِ الْعَجُوزِ مِنْ ذِرَاعَيْهِ ، وَوَجَّهَتْ
إِلَيْهِ كَلِمَاتِي الْأَخِيرَةَ : « إِنَّ فَرَانزَ لَمْ يَفْزَ بِشَيْءٍ ، وَسَوْفَ يَصِلُ إِلَى
الْيَخْتِ أُرِيَادُنِي بِسَلَامَةٍ تَامَةٍ ، وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ الْيَخْتُ
تَحْتَ سَيْطَرَتِنَا مِنْذُ سَاعَةٍ ! »

إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَرْبَ انْدَلَعَتْ فِي بَدَايَةِ أَغْسُطُسَ عَامَ
١٩١٤ ، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ سِتَّةِ أَسَابِيعَ مِنْ مُسَاعَدَتِي فِي الْقَبْضِ عَلَى
هَؤُلَاءِ الْجَوَاسِيسِ الْأَلْمَانِ الثَّلَاثَةِ . وَخَدَمْتُ كَضَابِطٍ فِي الْجَيْشِ
الْبَرِيطَانِيِّ ، وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ أَفْضَلَ عَمَلٍ قُيِّمْتُ بِهِ ، أَنْجَزْتُهُ قَبْلَ
الْحَرْبِ .



المغامرات المثيرة

- ١- مغامرة في الأدغال
- ٢- مغامرة في الفضاء
- ٣- مغامرة أسيرين
- ٤- مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥- مغامرة على الشاطئ
- ٦- الجاسوس الطائر
- ٧- لصوص الطريق
- ٨- حمد الغواص الشجاع
- ٩- اللسان الغيبان
- ١٠- مطاردة لصوص السيارات
- ١١- مغامرات السندباد البحري
- ١٢- لعبة خطيرة
- ١٣- الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤- اللؤلؤة السوداء
- ١٥- سر الجزيرة
- ١٦- مغامرة في النهر
- ١٧- إميل والمخبرون السريون
- ١٨- شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٩- سر الدرجات التسع والثلاثين



مَكْتَبَةُ لِبْنَان

سَاحَة رِيَّاض الصَّلَح - بَیروت

01 C 198219

رقم الكمبيوتر